مع النبي ﷺ في رمضان



بقلم

د. فالح بن محمد بن فالح الصغيِّر

الأستاذ بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية



مع النبي ﷺ

في رمضان

إعداد

د. فالح بن محمد بن فالح الصغيِّر

الأستاذ بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

١٤٢٤ هـ

ح دار المسلم للنشر والتوزيع ، ١٤٢٤هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الصغير، فالح بن محمد

مع النبي صلى الله عليه وسلم في رمضان

الرياض ، ١٤٢٤هـ

١٢٤ص ، ١٧ × ٢٤.

ردمك ٩-٧-٩٤٣٨-٩٩٦٠

١ـ الصوم ٢ ـ شهر رمضان أ العنوان

ديوي ٢٥٢,٣١٢ ١٤٢٤/٤٦٨١

رقم الإيداع ١٤٢٤/٤٦٨١

ردمك ٩-٧-٩٤٣٨-٩٩٦٠

الطبعة الأولى

١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م



دار المسلم للنشر والتوزيع

ص.ب ١٧٣٥٦ ـ الرياض ١١٤٨٤ـ المملكة العربية السعودية

هاتف وفاكس ٤٤٥٣١٧١ ـ جوال ٠٥٤٢٣٧٦٨٧

www.dar-almuslim.com

مع النبي ﷺ
في رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، وأصلي وأسلم على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد:

فإن الله سبحانه وتعالى أنعم علينا بنعم كثيرة يجب شكرها، ومن أجلّ هذه النعم، بعثة محمد ﷺ مبشراً ونذيراً، وهادياً إلى الله وسراجاً منيراً، يرشد الخلق إلى ما فيه تحقيق مصالحهم الدنيوية والأخروية، فما من خير إلا دلّ الأمة عليه، وما من شر إلا حذرها منه، فصلوات ربي وسلامه عليه، وكان عليه الصلاة والسلام القدوة والأسوة في قوله وفعله، ومظهره ومخبره، وفي عموم سيرته وشمائله، فسيرته العطرة المورد العذب، والمنهل الصافي، وشمائله اللباس الناصع، حَسُن خَلقُه وخُلُقَه، فأينما قلبت طرفك في تلك السيرة وجدت بغيتك، ووقعت على مطلوبك سلوكاً وأخلاقاً، عبادة وعملاً، سياسة واقتصاداً، دعوة وتبليغاً في البيت والشارع، في السلم والحرب، في العلاقة مع الخالق ومع المخلوق، فصلوات ربي وسلامه عليه.

وإذا كان الناس قديماً وحديثاً يعتزون بقدواتهم مع ما فيهم من النقص الكبير إلا أنهم أعجبوا بهم في مجال من المجالات، فلنا أن نعتز ونفاخر، ونعلي صوتنا بذلك، بأن كان قدوتنا ولن يزال هو محمداً ﷺ .

وهذه الوقفات العجلى هي وقوف مع جزء من هذه السيرة العطرة، في مرحلة زمنية في مناسبة عبادية سنوية متكررة، تلك هي سيرته عليه الصلاة

والســـلام مـــع الصيام ورمضان، فللصيام ورمضان مزايا وخصائص، وعبادات وأحوال نتعرف عليها مع القدوة عليه الصلاة والسلام، عسى أن تكون تذكرة وحافــزاً ومشـــجعاً للاقتداء والتأسي في هذا الشهر المبارك، رزقني الله وإياكم ذلك.

وأصـــل هـــذه الكلمات برنامج رمضاني أذيع في إذاعة القرآن الكريم من المملكـــة العربية السعودية في رمضان عام ١٤٢١ هـ، فرغب عدد من السامعين نشرها مكتوبة لتعم فائدتها، فأجبت الطلب مع علمي أنها مختصرة، وقد كتبت بأسلوب إلقائي، وتحتاج إلى كثير من الزيادات والتنقيحات، ولكن ما لا يدرك كله لا يترك جله، وقد تمت مراجعتها وضمت بعض الوقفات إلى بعض، حتى لا تطـــول إطالة مملة، وتبقى مناسبة للقراءة في المساجد ونحوها، وقد حرصت أن تكـــون المعلومـــات موثقة، والآيات مخرجة، والأحاديث معزوة إلى مصادرها، ومبيناً حكمها .

أسأل الله تعالى أن ينفع بهذا الجهد، وأن يجعله مباركاً، وأن يرزقنا الاقتداء بمحمـــد ﷺ، والســـير مـــع منهاجه صلوات ربي وسلامه عليه، وأن يجعلنا من الصائمين القائمين إيماناً واحتساباً إنه سميع قريب مجيب.

المؤلف

فالح بن محمد بن فالح الصغيّر

Falehmalsgair@yahoo.com

١٤٢٤هـ ــ ٢٠٠٣م

التهنئة بقدوم شهر رمضان

الحمد لله خَص بالتشريف والتفضيل بعض مخلوقاته، أحمده سبحانه وأثني عليه بما هو أهله، حمداً وثناءً يملآن أرضه وسماواته، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، هو أعلم بمواضع اختياره وكراماته، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، وصفيه من رسله ومختاره من برياته، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه من أهل محبته وموالاته.

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأوثق العرى كلمة التقوى، وخير الملل ملة إبراهيم، وخير السنن سنة محمد ﷺ ، وأشرف الحديث ذكر الله، وأحسن القصص قصص القرآن، وخير الأمور أواسطها، وشر الأمور محدثاتها، وأحسن الهدي هدي الأنبياء، وأعمى العمى الضلالة بعد الهدى، وخير الأعمال ما نفع، وشر العمى عمى القلب، واليد العليا خير من اليد السفلى، وما قل وكفى خير مما كثر وألهى.

يقول الله عز وجل: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ ﴾ (١)

---

(١) البقرة (١٨٣).

وقـــال رسول الله ﷺ: (**بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والحج وصوم رمضان**)[١]

وقـــال أيضاً فيما يرويه عن ربه عز وجل: (**قال ربكم: الصوم جنة يجتن بهـــا عبدي من النار**) [٢] وفي رواية: (**قال ربنا عز وجل: الصيام جنة يستجن بها العبد من النار، وهو لي وأنا أجزي به**)[٣].

وقال رسول الله ﷺ: (**الصيام جنة وحصن حصين من النار**)[٤] .

وقال أيضاً: (**الصيام جنة كجنة أحدكم من القتال**)[٥] .

أهـــلَّ الله عليَّ وعليكم شهر رمضان بالأمن والإيمان والسلامة والإسلام، وأعانـــنا عـــلى الصيام والقيام وسائر الطاعات والقربات، وتقبله منا، وجعله رصيداً لحسناتنا ومكفّراً لسيئاتنا، و قائدنا إلى الفردوس الأعلى من الجنة.

فهنيئاً لمـــن أدرك شهر رمضان فعزم على الصيام والقيام، وروّض نفسه على الرقي للمعالي والصعود للعوالي، وهيَّأ نفسه للوصول إلى الأماني.

هنيئاً لمن أدرك شهر رمضان فاشتاقت نفسه إلى الجنان، وتطلع إلى المغفرة والرحمة والرضوان، فاجتهد بما يليق بشهر الصيام والقيام.

---

(١) أخرجه البخاري (٨) ومسلم (رقم ١٦)

(٢) أخرجه أحمد (٣/٣٦٩).

(٣) أخـــرجه الطـــبراني في الكبير (٨٣٨٦) وأحمد ٣/٣٩٦ والبيهقي في الشعب (٣٥٨٢) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٨٦٧، ٤٣٠٨).

(٤) أخرجه أحمد (٢/٤٠٢)والبيهقي في الشعب (٥٧٦١) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٣٨٨٠)

(٥) أخـــرجه أحمـــد (٤/٢٢) والنسائي (٢٢٢٩) وابن ماجه (١٦٣٩) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٨٧٩).

وهنيئاً لأصحاب الهمم العالية والأهداف السامية والغايات النبيلة، لبذل الجد والاجتهاد. والعزم والرشاد في شهر الدعاء والقرآن، شهر الإنفاق والإحسان.

كان رسول الله ﷺ يفرح بقدوم رمضان، ويبشر الناس بدخوله، مرغباً لهم على فعل الفضائل، وباعثاً فيهم المنافسة والمسابقة، قائلاً: (**إذا جاء شهر رمضان ــ أو إذا كان أول ليلة من رمضان ــ صفدت الشياطين مردة الجن، وغلقت أبواب النيران، فلم يفتح منها باب، وفتحت أبواب الجنان فلم يغلق منهما باب، ونادى مناد: يا باغي الخير أقبل ويا باغي الشر أقصر، ولله عتقاء من النار**)[1]

فشهر الصوم: شهر التقوى، وشهر المحاسبة، والمنافسة، تصفو فيه نفوس من داخلها، وتقترب فيه قلوب من خالقها، تُفتح فيه أبواب الجنان، وتغلق أبواب النيران، وتصفد الشياطين، وتكثر دواعي الخير وأسباب المثوبة؛ رحمة ومغفرة وعتق من النار، فليقبل المسلم فيه على الطاعة، ويتزود من التقى، ويتعرض للنفحات الإلهية فيستروح روائح الجنة.

في الشهر المبارك يتقلب الصائم بين ذكر ودعاء، وصلاة وصيام، وجد وعمل، وإتقان وإحسان، وصلة وقربى، وطاعة وعبادة، فاطلبوا الخير في هذه الأعمال، وتعرضوا لنفحات المولى ذي الجود والإكرام.

---

(١) رواه الترمذي (٣/٦٦) برقم (٦٨٢) باب ما جاء في فضل شهر رمضان، وابن ماجه (١/٥٢٦) (١٦٤٢) في الصيام / باب ما جاء في فضل شهر رمضان، وابن خزيمة (١٨٨٣)، وابن حبان كما في الإحسان (٨/٢٢١) برقم (٣٤٣٥) ، والحاكم (١/٤٢١) وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

وفي هـــذا **الشهر المبارك** يفتش المحسنون عن المحتاجين من الأقرباء والجيران والأبعدين والغرباء والمساكين والأرامل واليتامى، فتشوا عنهم لتسدوا جوعتهم، وتمسحوا دمعتهم، وتقر أعينكم بفرحتهم.

في هذا **الشهر المبارك** تنهمر الدموع الحارة من الأعين المباركة بالدعوات الصـــادقة، والرجاءات المتوالية، في الليل البهيم، والظلام الدامس، لكل مخلص لدينه، صادق في ولائه لربه، عامل لدعوته.

في هـــذا **الشهر المبارك** تنبعث روح الجهاد في النفوس المسلمة، وتحيا روح الأخوة في القلوب المؤمنة، لأولئك المرابطين في ساحات الوغى وميادين القتال؛ للـــذود عـــن ديـــنهم، والدفاع عن أعراضهم، والذب عن مقدساتهم، وحماية وجودهـــم. هذا الشهر المبارك يذكرنا بهؤلاء الصامدين المجاهدين، الأقوياء في نفوسهم، الضعاف في عدتهم وعددهم. ورمضان يبعث في النفوس نصرة أولئك الأبطـــال، نصرتهم بالدعاء الصادق في جوف الليل، وفي السجود في الصلوات، وفي الخلـــوات، فرُبَّ دمعة صادقة لقيت من الله موقعاً، فكانت سبباً في النصر والعزة والقوة والمنعة. ونصرتهم بالمال من الزكوات والصدقات والتبرعات، فهذا شـــهر الجـــود والإحســـان والـــبذل والإنفاق. ونصرتهم بالرجوع إلى النفس ومحاســـبتها عـــلى مـــا فات في سالف الأيام، ولن تنصر نفوس لم تنتصر على معاصـــيها وذنوبهـــا وشياطينها وهواها. ونصرتهم بالتأييد والتسديد والشعور بشعورهم والبكاء لبكائهم والفرح لفرحهم ونصرهم.

لـــيكن شهر رمضان مذكراً لنا بهذه المسائل، ومحبباً لنا هذه المعاني، ومربياً لنفوسنا على هذه الأخلاق وتلك المبادئ.

إن استقبالنا لشهرنا الكريم بهذه المعاني الروحية والكبيرة، وبهذا الاستعداد النفسي، وبهذا العزم والتصميم والإرادة القوية، ونحن نقتفي فيها سيرة نبينا وسيدنا وحبيبنا محمد ﷺ، تلكم السيرة العطرة والمنهاج القويم والقدوة المثلى والسلوك المبارك والحياة الملأى بالعبر والحكم، فحياته عليه الصلاة والسلام حياة الجد والكفاح، فهو القدوة والأسوة في البيت والشارع والمسجد وساحة المعركة، وهو القدوة والأسوة للآباء والأولياء والمربين والمعلمين، وهو القدوة في أي مكان وفي أي زمان.

ولا شك أن كل مسلم ــ فوق هذه الأرض ــ لا غنى له عن دراسة سيرته والتأمل فيها والنظر في أحداثها واستلهام العبر والدروس منها واستخراج الحكم والأحكام لتطبيقها.

إن شهر رمضان المبارك فرصة عظيمة لاستجلاء منهجه وسيرته عليه الصلاة والسلام في تعامله مع هذا الشهر المبارك في صومه وصلاته، وفي مواعظه ودعوته وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر، وفي اجتهاده وتعبده، وفي أخلاقه وسلوكه، وفيما وقع له من أحداث في سيرته، كل هذا ونحوه سوف نتعرض له فيما يأتي بإذن الله ولو على سبيل الإيجاز، فهو ﷺ قدوتنا وأسوتنا ومشعل هدايتنا ونور طريقنا، عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، وأسأل الله تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يرزقنا اتباع هديه والسير على منهاجه واقتفاء أثره، وأن يرزقنا شربة من حوضه لا نظمأ بعدها أبداً، كما أسأله جل وعلا أن يعيننا على الصيام والقيام، وأن يجعل هذا الشهر المبارك شهر عز ونصر وتمكين للإسلام والمسلمين، إنه سميع مجيب الدعاء.

أهمية دراسة السيرة

لقد جُبِلَ الإنسان بحكم ـ خلقه وطبعه ـ أن يتخذ من سير العظماء والقادة قدوةً ونبراساً يتخذه مثلاً يُحتذى ومثالاً يقتدى.

والمسلم هو الذي يدين بدين الإسلام الذي أنزله الله تعالى على نبيه ﷺ وكلفه بتبليغه، لا ترنو نفسه إلا إلى سيرة سيد المرسلين، والحجة على الخلق أجمعين، والوقوف على هذه السيرة « سيرة النبي ﷺ » التي لا ينضب معينها، ولا يجف مدادها، ملتقى الأخلاق الفاضلة، ومثال الإنسانية الكاملة، فلا يوجد في سير العظماء الأماجد ما يوجد في سيرة سيد الأنبياء، فلا شرف يذكر، ولا كمال ينعت إلا لمحمد ﷺ منه النصيب الأوفى والمحل الأسمى، من ذا يستطيع أن يأتي بحديث منه يروي غليل السامعين، ويطفئ لوعة المحبين، ولا غرابة في ذلك وقد أثنى عليه الخلاق العليم ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝ ﴾[1] فسبحانه من إله أعطى ثم أثنى ﴿ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ۝ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝ ﴾[2] لقد استدرج القرآنَ بين جنبيه حتى صار خُلُقُه القرآن، صلاة الله وسلامه على محمد وعلى آل محمد وعلى أصحاب محمد.

---

(١) القلم (٤) .

(٢) القلم (٣ ــ ٤) .

لقد آتاه الله من نعمه، وأفاض عليه من رحمته، ما جعله أهلاً لحمل رسالته، واصطفاه ليكون خاتم أنبيائه ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ۝ ﴾[١].

لقد كانت الآيات والمعجزات والحجج والدلائل تعيش معه حياته، منذ استقبله المهد، حتى دثره اللحد، عليه الصلاة والسلام.

هـذا عامل مهم في السيرة، والاطلاع عليها يتلخص في عظمة شخصية الرسول ﷺ، وما بلغ من المنزلة العظمى، لكي يتخذ أسوة وقدوة عليه الصلاة والسلام.

وعـامل آخـر لا يقل أهمية عمّا سبق، وهو: أن سيرة الرسول ﷺ هي التطبيق العملي لكتاب الله تعالى، الذي أنزله الله سبحانه وتعالى عليه، فهو الصورة الحية والقرآن الذي يمشي على الأرض، يراه الناس فيرون القرآن حياً غضاً طرياً.

سئلت عائشة رضي الله عنها عن خلق رسول الله ﷺ فقالت: كان خلقه القرآن[٢].

فهو الصورة المثلى لتطبيق تعاليم القرآن، وتنفيذ أوامر القرآن، والسير على توجيهات القرآن، والوقوف عند حدود القرآن، والكف عن زواجر القرآن، فهو قرآن يمشي ويسير، يتحرك ويجيء، يغدو ويروح، عليه الصلاة والسلام.

وعامل ثالث يجلي أهمية دراسة السيرة: أن شخصية الرسول ﷺ هي تلك الشخصية الشمولية الجامعة، وهي الشخصية البشرية المعصومة، جمعت من

---

(١) الضحى (٥).

(٢) أخرجه مسلم (رقم ٧٤٦) .

الخلال الحميدة أفضلها، ومن الأخلاق الكريمة أزكاها، ومن التصرفات الحياتية أكملها، ولقد شهد له أعداؤه بذلك، ولم يستطيعوا جحد هذه الشهادة أو كتمانها، ومن ذلك شهادة أبي سفيان له قبل إسلامه في المحاورة التي جرت بينه وبين هرقل عظيم الروم. فمما جاء فيها أن هرقل سأل أبا سفيان قائلاً له: فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قلت: لا. قال: فهل يغدر؟ قلت: لا. إلى آخر ما ذكر في هذه القصة[١]. وإن المطلع على كتب السيرة النبوية والشمائل المحمدية ليرى من تلك الصفات الشمولية الجامعة ما لا يجتمع لبشر، بل لمجموعة من البشر عليه الصلاة والسلام.

وما من باحث يبحث في شخصية الرسول ﷺ إلا ويجد بغيته ومطلبه، فرب الأسرة الذي يريد أن يعامل أسرته على الوجه المرضي، ومن خلاله يجعل الأسرة مدرسة فذة، يجد ذلك جلياً في تعامل الرسول ﷺ مع أسرته وفي بيته، كيف لا وهو القائل عليه الصلاة والسلام: (**خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي**)[٢].

وكذا المدير والمسؤول، أياً كانت نوعية هذه الإدارة أو هذه المسؤولية، يجد في إدارة الرسول ﷺ العناصر المهمة للنجاح والتفوق في هذه الإدارة من الإخلاص والصدق والدقة والعدل والحكمة وسعة الصدر والقدرة على الإنجاز وغير ذلك.

---

(١) أخرجه البخاري (٧).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٨٩٥) وابن ماجه (١٩٧٧) والطبراني في الكبير (٨٥٣) وقال الترمذي: حسن غريب صحيح.

وإذا اتجــه المربي والمعلم إلى مصدر تربوي مليء بالتعاليم العملية والحقائق الــتربوية؛ فســيجد ذلك واضحاً تمام الوضوح في تلك الشخصية الفذة عليه الصلاة والسلام.

أمــا السياســي والاقتصادي فنعمت المدرسة مدرسة محمد ﷺ في تعليم السياسة والاقتصاد، هذه كلها مع ما ينضم إليها من النظرة الفاحصة الدقيقة إلى الدنــيا وزخارفهــا والموقف منها، فقد ضرب رسول الله ﷺ أروع الأمثلة في ذلــك، وخلاصة هذا العامل المهم أن شخصية الرسول ﷺ هي تلك الشخصية المثالية الجامعة الشاملة.

وعــامل خامس: أن شخصية الرسول ﷺ تمثل الدين بعمومه المطلوب من الــناس كلهم وإلى أن تقوم الساعة، فقد كان الأنبياء والرسل السابقون يبعثون إلى أقوامهم خاصة، أما الرسول الخاتم محمد ﷺ فقد بعث إلى الناس عامة.

قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾[1]

وقال : ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّۦنَ ﴾[2]

فحــري بمثل هذه الشخصية أن تدرس سيرها، ويستخلص منها الخصال الفذة، ومكونات الشخصية الجامعة.

---

(١) سبأ (٢٨).

(٢) الأحزاب (٤٠).

هذه عواملُ يسيرةٌ تجعلنا نُسير اهتمامنا كله في محاولة الاقتداء بالنبي ﷺ في جوانب الحياة كلها، ونجعله المثل الأعلى لنا، والرسول ﷺ تعامل مع شهر رمضان والصيام وما يتعلق بهما تعامل النبي القدوة، فلنا فيه أسوة وقدوة عليه الصلاة والسلام، فلنجتهد ولنجتهد ونعمل.

أسأل الله تعالى أن يرزقنا الإخلاص في الأقوال والأعمال، والسير على منهاج سيد المرسلين عليه الصلاة والسلام.

الرسول ﷺ ورؤية الهلال

لا ريب أن المسلمين ينتظرون قدوم شهر رمضان ببالغ الصبر ليستقبلوه استقبالاً لائقاً من حيث الاستعداد للطاعات والقربات واغتنام هذه الأوقات الفاضلة العامرة بالخيرات، والعزم على فعلها وإخلاص النية في ذلك.

ولكن ما أن يدخل الشهر المبارك إلا ويثور نقاش حاد وطويل بين المسلمين في جميع الأقطار: متى يصوم الناس؟ وهل يصومون برؤية الهلال أم بالاعتماد على الحساب الفلكي؟ وكيف يصوم الذين يعيشون في تلك البلاد التي لا تعتمد على رؤية الهلال؟

من أجل ذلك كان لابد لنا أن نقف على هدي رسول الله ﷺ في ذلك لنعلم كيف كان يستقبل هذا الشهر؟ وكيف يتم صومه؟

لقد بين العلامة ابن قيم الجوزية رحمه الله هدي رسول الله ﷺ فقال: «وكان من هديه ﷺ أن لا يدخل في صوم رمضان إلا برؤية محققة أو بشهادة شاهد واحد، كما صام بشهادة ابن عمر(١) وصام مرة بشهادة أعرابي(٢)،

---

(١) أخرج البيهقي في السنن الصغرى (٢/٨٩ ـــ ٩٠) (١٣٠٦) عن ابن عمر أنه قال: تراءى الناس الهلال فأخبرت رسول الله ﷺ أني رأيته فصام وأمر الناس بالصيام. وأخرجه أبو داود (٢٣٤٢) والدارمي (١٦٩٨) وصححه ابن حبان كما في موارد الظمآن (٣/١٧٣)(٨٧١).

(٢) أخرجه عبد الرزاق (٧٣٤٢) وأبو داود (٢٣٤٠) والترمذي (٦٩١) والنسائي (٤/١٣٢) وابن ماجه (رقم ١٦٥٢) وابن حبان كما في الموارد (٨٧٠) و البيهقي في السنن الصغرى (٢/٩٠) (١٣٠٧) والسنن الكبرى (٤/٢١١) (٢١١٠)، (٢١١١).

واعـــتمد على خبرهما، ولم يكلفهما لفظ الشهادة، فإن كان ذلك إخباراً فقد اكـــتفى في رمضـــان بخـــبر الواحد، وإن كان شهادة فلم يكلف الشاهد لفظ الشهادة، فإن لم تكن رؤية ولا شهادة أكمل عدة شعبان ثلاثين يوماً.

وكان إذا حال ليلة الثلاثين دون منظره غيمٌ أو سحابٌ أكمل عدة شعبان ثلاثين يوماً ثم صامه، ولم يكن يصوم يوم الإغمام ولا أمر به، بل أمر بأن تكمل عـــدة شـــعبان ثلاثين إذا غم، وكان يفعل كذلك، فهذا فعله وهذا أمره، ولا يـــناقض هذا قوله: (**فإن غم عليكم فاقدروا لـــه**)[1] فإن القدر: هو الحساب المقدر والمراد به الإكمال، كما قال: (**فأكملوا العدة**) والمراد بالإكمال إكمال عـــدة الشـــهر الذي غم، كما قال في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري: (**فـــأكملوا عدة شعبان**)[2]، وقال: (**لا تصوموا حتى تروه، ولا تفطروا حتى تروه، فإن غم عليكم فأكملوا العدة**)[3] والذي أمر بإكمال عدته هو الشهر الـــذي يغـــم، وهو عند صيامه وعند الفطر منه، وأصح من هذا قوله: (**الشهر تسعة وعشرون فلا تصوموا حتى تروه، فإن غم عليكم فأكملوا العدة**)[4]

وهذا راجع إلى أول الشهر بلفظه، وإلى آخره بمعناه.

فلا يجوز إلغاء ما دل عليه لفظه، واعتبار ما دل عليه من جهة المعنى.

---

(١) أخرجه البخاري (١٩٠٦) ومسلم (٣/١٠٨٠).

(٢) أخرجه البخاري (١٩٠٩) والدارمي (١٦٩٢).

(٣) أخـــرجه مســـلم بلفـــظ قريب (١٧/١٠٨١) ومالك في الموطأ (٣/ ٢٨٧) والترمذي (٦٨٨) والنسائي (٤/١٣٥) (٢١٢٥) وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

(٤) أخـــرجه الـــبخاري (١٩٠٧) والبيهقي في السنن الكبرى (٤/٥٥) والسنن الصغرى (٢/٨٧) (١٢٩٩).

وقـال: (**الشهر ثلاثون والشهر تسعة وعشرون، فإن غم عليكم فعدوا ثلاثين**) [١] وقال: (**لا تصوموا قبل رمضان، صوموا لرؤيته، فإن حالت دونه غمامة فأكملوا ثلاثين**)[٢]، وقال: (**لا تقدموا الشهر حتى تروا الهلال أو تكملوا العدة، ثم صوموا حتى تروا الهلال أو تكملوا العدة**)[٣]

وقالت عائشة رضي الله عنها: « كان رسول الله ﷺ يتحفظ من هلال شعبان ما لا يتحفظ من غيره، ثم يصوم لرؤيته، فإن غم عليه عد شعبان ثلاثين يوماً ثم صام. صححه الدارقطني وابن حبان » [٤].

وقال: (**صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته فإن غم عليكم فاقدروا ثلاثين**)[٥] وقال: (**لا تصوموا حتى تروه ولا تفطروا حتى تروه، فإن أغمي عليكم فاقدروا له**) [٦]. وقال: (**لا تقدموا رمضان**) وفي لفظ: (**لا تقدموا بين يدي رمضان بيوم أو يومين، إلا رجلاً كان يصوم صياماً فليصمه**)[٧] والدليل على

---

(١) أخرجه بنحوه مسلم (١٥/٤/١٠٨٠).

(٢) أخرجه الترمذي (٦٨٨) وأبو داود (رقم ٢٣٢٧) والنسائي (١٣٦/٤) (٢١٢٨) وقال الترمذي: حديث ابن عباس حديث حسن صحيح.

(٣) أخرجه أبو داود (٢٣٢٦) والنسائي (٢١٢٤، ٢١٢٥) وابن حبان كما في موارد الظمآن (٣/ ١٧٦) (٨٧٥) وابن خزيمة (٢٠٣/٣ ١٩١١) والدارقطني (١٦١/٢) (٢٤) والبيهقي في الكبرى (٢٠٨/٤) وقال الألباني في إرواء الغليل (٨/٤): وإسناده صحيح.

(٤) أخرجه أبو داود (٢٣٢٥) وأحمد ١٤٩/٦ والدارقطني (١٥٦/٢ ــ ١٥٧) (٤) وقال: هذا إسناد حسن صحيح. والبيهقي (٢٠٦/٤) وابن خزيمة (٢٠٣/٣) (١٩١٠) والحاكم (٤٢٣/١) وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين. ووافقه الذهبي.

(٥) أخرجه البخاري (١٩٠٩) ومسلم (١٩/١٠٨١).

(٦)أخرجه البخاري (١٩٠٦) ومسلم (٣/١٠٨٠).

(٧) أخرجه البخاري (١٩١٤) ومسلم (٢١/١٠٨١).

أن يوم الإغمام داخل في هذا النهي حديث ابن عباس يرفعه: (**لا تصوموا قبل رمضان، صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته، فإن حالت دونه غمامة فأكملوا ثلاثين**) ذكره ابن حبان في صحيحه[١]. فهذا صريح في أن صوم يوم الإغمام من غير رؤية ولا إكمال ثلاثين، صوم قبل رمضان.

وقال: (**لا تقدموا الشهر إلا أن تروا الهلال أو تكملوا العدة، ولا تفطروا حتى تروا الهلال أو تكملوا العدة**)[٢] وقال: (**صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته، فإن حال بينكم وبينه سحاب فأكملوا العدة ثلاثين، ولا تستقبلوا الشهر استقبالاً**)[٣] قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

وفي النسائي من حديث يونس عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس يرفعه: (**صوموا لرؤيته، وأفطروا لرؤيته، فإن غم عليكم فعدوا ثلاثين يوماً، ثم صوموا، ولا تصوموا قبله يوماً فإن حال بينكم وبينه سحاب فأكملوا العدة عدة شعبان**)[٤]

---

(١) أخرجه الترمذي (٦٨٨) والنسائي (١٣٦/٤) (٢١٢٨) وأبو داود (٢٣٢٧) والدارقطني (٢/ ١٥٨) وأبو يعلى في مسنده (٢٤٣/٤) (٢٣٥٥) وأحمد (٢٢٦/١، ٢٥٨) وصححه ابن حبان كما في موارد الظمآن (٨٧٣).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) أخرجه النسائي (١٣٦/٤ رقم ٢١٢٧) و (١٣٥/٤ــ١٥٤) رقم ٢١٨٧) والبيهقي (٢٠٧/٤) وفي السنن الصغرى (٨٨/٢ رقم ١٣٠٣)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ١٩٧) وصحيح الجامع (رقم ٣٨٠٩).

(٤) أخرجه بنحوه أبو داود (رقم ٢٣٢٧) والنسائي (١٥٣/٤، ١٥٤) (٢١٧٨) والبيهقي في السنن الكبرى (٢٠٨/٤) والسنن الصغرى (١٣٠٣) والبغوي في شرح السنة (١٧١٦) والدارمي (١٦٩٠).

وقـــال سمـــاك عـــن عكرمة عن ابن عباس: تمارى الناس في رؤية هلال رمضان، فقال بعضهم: اليوم وقال بعضهم: غداً فجاء أعرابي إلى النبي ﷺ فذكر أنه رآه، فقال النبي ﷺ: (**أتشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله**؟ قال: نعـــم. فأمـــر النبي ﷺ بلالاً، فنادى في الناس: صوموا. ثم قال: **صوموا لرؤيته وأفطـــروا لرؤيته، فإن غم عليكم فعدوا ثلاثين يوماً ثم صوموا، ولا تصوموا قبله يوماً**)(١)

وكل هذه الأحاديث صحيحة فبعضها في الصحيحين وبعضها في صحيح ابـــن حـــبان والحاكم وغيرهما، وإن كان قد أُعِلَّ بعضها بما لا يقدح في صحة الاســـتدلال بمجموعهـــا وتفسير بعضها ببعض، واعتبار بعضها ببعض، وكلها يصدق بعضها بعضاً، والمراد منها متفق عليه(٢)" (اهـ كلامه رحمه الله).

ثم طفق ابن القيم رحمه الله يجيب عما روي عن بعض الصحابة أنهم خالفوا هـــذا الهدي فصاموا يوم الثلاثين بما ملخصه أنهم صاموا استحباباً واحتياطاً، لا أنهم صاموه على أنه شك من رمضان.

ومـــن هذا يتلخص لنا أن القول الصحيح من هدي الرسول ﷺ أن يصام رمضان برؤية هلاله، ولو بشهادة واحد، بشرط أن يكون عدلاً، أما البلدان التي لا يـــتراءى الـــناس فـــيها الهلال فيصومون على أقرب رؤية إليهم من البلدان المجـــاورة، وهـــذا بناء على أقوال من قال أن لكل بلد رؤيتهم كما سبق. والله أعلم.

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) ينظر: زاد المعاد (٢/٣٨ـــ٤٢) وصوم النبي ﷺ (ص٥٤ـــ٦١).

ومما يتلخص ما ذكر أن يوم الثلاثين لا يصام على أنه من رمضان إذا لم ير الهــلال، فمن صامه فقد عصى محمداً ﷺ، إلا إذا كان معتاداً أن يصوم صوماً مســتحباً، كمن اعتاد صيام الاثنين والخميس، ووافق ذلك اليومُ هذا اليومَ، فله ذلك.

أسأل الله تعالى أن يبصرنا بديننا، ويرزقنا حسن الاتباع لسنة سيدنا محمد ﷺ، إنه سميع مجيب، وهو المستعان.

الرسول ﷺ والصوم

ليعلم المسلم ــ الساعي إلى مرضاة ربه، الحريص على اقتفاء آثار الرسول ﷺ في كل دقيق وجليل ــ أن أفضل الأوقات وأحلى الساعات، هي التي يقضيها المسلم مع رسوله الكريم في هذا الشهر الطيب المبارك، ليقف على مشروعية الصيام وكيف كان يعيش النبي ﷺ في هذا الشهر، حيث يمثل جزءاً مباركاً من حياة رسولنا الكريم، عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

كيف لا وقد كان بدء الوحي في رمضان، عندما جاء جبريل عليه السلام إلى رسول الله ﷺ وهو يتعبد في غار حراء، فضمه جبريل ضمة شديدة ثم أرسله، فقال: اقرأ، فقال: ما أنا بقارىء، قال: فأخذني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ باسم ربك الذي خلق. خلق الإنسان من علق. اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم. علم الإنسان ما لم يعلم... إلى آخر ما جاء في قصة نزول الوحي وتتابعه[1].

وفي هذا إشارة إلى عظم هذا الشهر الكريم ومنزلته، بالرغم من أنه لم يفرض صيام شهر رمضان في ذلك الوقت، ولكن الرسول ﷺ كان يصوم أياماً معينة مختلفة، ذكر أهل العلم أنها على ثلاثة أطوار:

---

(١) أخرجه البخاري (٣) ومسلم (١٦٠) ، وينظر ما كتبته حول هذا الحديث بعنوان حديث (بدء الوحي ــ وقفات وتأملات).

الطور الأول: أياماً معدودات، قيل: إنها الاثنين والخميس، وقيل: ثلاثة أيام من كل شهر، وقيل: ذكر الأيام المعدوات تخفيفاً وتهويناً، وإلا فهي الشهر نفسه.

والطور الثاني: التخيير، قال تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ﴾ (١)

فكانوا مخيرين بين الصيام والإطعام.

والطور الثالث: الإلزام قال تعالى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾ (٢)

فلم يرخص في ترك الصيام إلا في حالة وجود عذر: كالسفر والمرض، قال تعالى ﴿ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ (٣)

وقد كان الصيام مفروضاً على من قبلنا، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ (٤)

لكن كيفية صيامهم تختلف، حيث يبدأ الإمساك عندهم من بعد صلاة العشاء، أو بعد أول نومة ينامها الشخص من الليل، ثم يستمر على صيامه بقية الليل وجميع النهار حتى تغرب الشمس.

---

(١) البقرة (١٨٤).

(٢) البقرة (١٨٥).

(٣) البقرة (١٨٥).

(٤) البقرة (١٨٣).

وممـــا كان في تشريع الصيام أنه يحرم فيه مباشرة النساء وجماعهن، فكان صيام الناس كذلك، فحدثت حادثتان أثرتا على رسول الله ﷺ:

الأولى: أن رجـــلاً من أهل قباء كان يعمل في مزرعته طوال نهاره، فلما جـــاء إلى بيته بعد غروب الشمس، وذهبت زوجته لتأتيه بالإفطار، غلبته عيناه فـــنام فلم يستطع الأكل، وواصل صومه إلى الغد، ولما حان الظهر أغمي عليه جراء الجوع والتعب، فأخبر بذلك الرسول ﷺ فحزن له(١).

والحادثة الثانية: أن رجلاً غلبته نفسه على امرأته، فوقع عليها ـــ أي جامعها ـــ(٢) فجاء وأخبر رسول الله ﷺ فاشتد الأمر، وبعد ذلك جاءت الرخصة من الله تعالى وجاء التخفيف، ونزل قول الله تعالى: ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ۖ فَٱلْـَٔـٰنَ بَـٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۚ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ۚ وَلَا تُبَـٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَـٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَـٰجِدِ ۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَـٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾ ﴾(٣)

وكـــان الرسول ﷺ بعد ذلك يبادر بالإفطار إذا غربت الشمس، ويؤخر السحور إلى آخر الليل قبل الفجر، كما سيأتي تفصيله.

---

(١) أخرجه البخاري (١٩١٥)

(٢) أخرجه البخاري (١٩٣٦) ومسلم (١١١١، ١١١٢).

(٣) البقرة (١٨٧) .

هـــذه لمحـــة عـــن أطوار الصيام وتشريعه في عهد رسول الله ﷺ، فاستقر تشـــريعه في السنة الثانية من الهجرة النبوية، واستقر عليها تشريع الصيام إلى أن تقوم الساعة.

وهـــنا نلحظ أمراً مهماً في آية تشريع الصيام: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ ﴾ [1]

أنهـــا ختمت بقوله تعالى ﴿ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ ﴾ وفي ذلك إشارة إلى أن الهدف الأعظم والغاية الكبرى من الصيام التوصل إلى التقوى، هذه التقوى هي تلكـــم الملكة التي إذا وجدت عند مسلم صبغت حياته صبغة خاصة تدفعه نحو الخير والطاعة، وتردعه عن الشر والمعصية، ابتغاء ثواب الله وخشية عقابه، ما أن يسمع بميدان الخير إلا ويسابق إليه، وما أن يسمع عن الشر والشبهة إلا ويبتعد عنهما.

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «التقوى: أن يطاع الله فلا يعصى، ويذكر فلا ينسى، وأن يشكر فلا يكفر».

وقـــال طلق بن حبيب: التقوى: « أن تعمل بطاعة الله، على نور من الله، ترجو ثواب الله، وأن تترك معصية الله، على نور من الله، تخاف عقاب الله ».

وأخذ هذا المعنى الشاعر ابن المعتمر، فقال:

خـــلِّ الذنـــوب صـــغيرها وكـــبيرها فهـــو الـــتقى
واصـــنع كمـــاش فـــوق أرض الشـــوك يحـــذر مـــا يـــرى
لا تحقـــــرن صـــــغيرة إن الجـــبال مـــن الحصـــى

---
(١) البقرة (١٨٣).

والتقوى بهذا المعنى آنف الذكر هي وصية الله للأولين والآخرين، ووصية رسوله ﷺ لأصحابه وأمته،

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾ (١)

وقال: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ (٢)

وروى الترمذي بسند حسن أن النبي ﷺ أوصى معاذ بن جبل فقال: **(اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها،وخالق الناس بخلق حسن)** (٣)

ولاشك أن الصيام ورمضان عاملان قويان لتمثل هذه الغاية الحميدة والهدف السامي النبيل والعاقل الحصيف هو الذي يجعل من هذا الشهر عاملاً قوياً للوصول إلى هذه الغاية، كما كان عليه الصلاة والسلام، فاقتدوا به وتأسوا به، واجعلوا سيرته نصب أعينكم تكونوا من المفلحين الفائزين.

أسأل الله تعالى أن يجعلني وإياكم من عباده المتقين، وأن يحشرنا في زمرهم، إنه سميع مجيب، والله والمستعان.

---

(١) النساء (١٣١).

(٢) آل عمران (١٠٢) .

(٣) أخرجه أحمد (١٥٣/٥) والترمذي (١٩٨٧) والحاكم (٥٤/١) والبيهقي في شعب الإيمان (٨٠٢٥، ٨٠٢٦) وقال الترمذي: حسن صحيح. وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه ووافقه الذهبي. وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٩٧).

حكمة الصيام: التقوى

سبق أن ألمحنا إلى أمر عظيم، غاية في الأهمية، ذلكم هو هدف الصيام في هذا الشهر المبارك ، والذي تمثله الرسول ﷺ في صيامه وقيامه وطاعاته، ويعد جانباً عظيماً من جوانب سيرته عليه الصلاة والسلام.

لقد اهتم السلف الصالح بهذه الكلمة قولاً وفعلاً، وظهرت واضحة جلية في وصاياهم، فهذا علي بن أبي طالب رضي الله عنه استعمل رجلاً على سرية، فقال له: أوصيك بتقوى الله عز وجل الذي لابد لك من لقاه، ولا منتهى لك دونه، وهو يملك الدنيا والآخرة.

وكتب عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه إلى رجل فقال: أوصيك بتقوى الله عز وجل التي لا يقبل غيرها، ولا يرحم إلا أهلها، ولا يثيب إلا عليها، فإن الواعظين بها كثير، والعاملين بها قليل، جعلنا الله وإياكم من المتقين.

وكتب أحد السلف إلى آخر، فقال: أما بعد: أوصيك بتقوى الله الذي هو نجيك في سريرتك، ورقيبك في علانيتك، فاجعل الله على بالك في ليلك ونهارك، وخف الله بقدر قربه منك وقدرته عليك، واعلم أنك بعينه، لا تخرج من سلطانه إلى سلطان غيره، ولا من ملكه إلى ملك غيره.

هذه الكلمة ـ بمدلولها الواسع ـ إذا طبقها الفرد وانتشرت في المجتمع، خلفت آثاراً يعجز القلم عن حصرها، ولكن حسبنا الإشارة إلى ما يدل على شيء من ذلك:

۞ التقوى سبب لتيسير أمور الفرد والمجتمع يقول تعالى: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ۝٤ ﴾ (١) ويقول: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ ﴾ (٢)

۞ والتقوى سبب لفتح البركات من السماء والأرض وحصول الأرزاق وسعة الأموال، يقول المولى عز وجل: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ (٣) ويقول جل شأنه: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ (٤)

۞ والتقوى سبب للتوفيق والتسديد في الحياة، والسعادة في الدنيا والآخرة يقول عز وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا ﴾ (٥)

ويقول تقدس اسمه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ ﴾ (٦)

۞ والتقوى عامل قوي لعدم ضرر الكائدين الكافرين، يقول الله عز وجل: ﴿ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ﴾ (٧)

---

(١) الطلاق (٤).

(٢) الليل (٥-٧).

(٣) الأعراف (٩٦) .

(٤) الطلاق (٢-٣).

(٥) الأنفال (٢٩).

(٦) الحديد (٢٨).

(٧) آل عمران (١٢٠).

۞ والتقوى سبب لنيل ولاية الله تعالى، حيث قال سبحانه: ﴿ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾[1]

۞ والتقـــوى سبب لنيل العلـــم النافع وحصـــول بركته: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ﴿٢٨٢﴾ ﴾[2]

۞ والتقوى طريق موصل إلى رحمة الله تعالى في الدنيا والآخرة، يقول جل شأنه: ﴿ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ﴾[3]

۞ وأهل التقوى تحصل لهم البشرى والاطمئنان في الحياة الدنيا، سواء بالرؤيا الصالحة، أو بمحبة الناس لهم والثناء عليهم والدعاء لهم، يقول سبحانه وتعالى: ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾[4]

هذه بعض آثار التقوى إضافة إلى ما يحصله المتقي عند الله سبحانه وتعالى يـــوم يلقاه، من فوز وفلاح ونجاة من عذاب الله تعالى وقبول الأعمال وتكفير السـيئات ومحـــو الذنـــوب والعفو عن الزلات ورفعة الدرجات وزيادة الأجر والحسنات، يقول عز وجل: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾[5]

---

(١) الأنفال (٣٤) .

(٢) البقرة (٢٨٢) .

(٣) الأعراف (١٥٦) .

(٤) يونس (٦٢ ــ ٦٣).

(٥) النور (٥٢) .

ويقول سبحانه: ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾ ﴾ (١)

ويقول سبحانه: ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ (٢)

ويقول جل شأنه: ﴿ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٢٠﴾ ﴾ (٣)

ويقول سبحانه: ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ﴾ (٤)

ويقول: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا ﴿٥﴾ ﴾ (٥)

هذه الآثار الجليلة والثمار الطيبة ليست من نصيب من ادعى تلبس التقوى بدون تصديق الجوارح وإحياء بالسلوك، فللمتقي سمات يعرف بها، وللعامل صفات يتميز بها، فمن أراد أن ينضم في سلك المتقين، وأن يلج ميدان المتنافسين، وأن يكون عاملاً في مجتمع المتقين، فليستمع إلى تلك الأوصاف، ولتظهر عليه تلك العلامات قولاً وفعلاً، حساً ومعنى، يقول الله تعالى مبيناً سمات المتقين: ﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ

---

(١) مريم (٧٢) .

(٢) المائدة (٢٧).

(٣) الزمر (٢٠) .

(٤) آل عمران (١٣٣) .

(٥) الطلاق (٥) .

يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ ﴾ (١)

ويقول في بيان مزيد من تلك الأوصاف: ﴿ ۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُواْ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾ (٢)

وفي آيات أخرى يضيف أوصافاً أخرى فيقول: ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ ﴾ (٣)

ويتحصل من مجمل ما مرَّ من آيات عظيمة أن من أبرز صفات المتقين: الإيمان بالغيب وإقامة الشعائر التعبدية: كالصلاة، والصيام، والإنفاق في سبيل الله من الزكاة المفروضة، والصدقة المستحبة، والتبرع في مجالات الخير المختلفة،

---

(١) البقرة (١ ــ ٥) .

(٢) البقرة (١٧٧).

(٣) آل عمران (١٣٣ ــ ١٣٥) .

والأخلاق العالية التي تصل في علوها إلى درجة ضبط عواطف الإنسان وكبح نزواته وتحمل سيئات الآخرين عليه، والتوبة والاستغفار، والإنابة عند الزلل والوقوع في المعصية على حين غفلة أو ضعف نفس، وكذا الاستجابة الفورية لنداءات الله تعالى فيكون القلب حاضراً لتلبية تلك النداءات.

وإذا بحثت عن التقي وجدته رجلاً يصدق قوله بفعالِ
وإذا اتقى الله امرؤ فأطاعه فيداه بين مكارم ومعالِ

قال البيهقي ـ رحمه الله ـ[1] : قال الله عز وجل: ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُۥ عَـٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾[2]

قال أبو عبد الله الحليمي ـ رحمه الله ـ في مبسوط كلامه: قد أبان الله عز وجل أن الصوم من أسباب التقوى، وحقيقة التقوى فعل المأمور به والمندوب إليه واجتناب المنهي عنه والمكروه المنزه عنه، لأن المراد من التقوى وقاية العبد نفسه من النار، وهو إنما يقي نفسه النار بما ذكرت.

قال: والصلاة أحد شعبها، قال الله عز وجل: ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ﴾[3]

والانتهاء عن الفحشاء والمنكر هو التقوى، وهذا لأن من حبب الله إليه الصلاة ووفقه لها وذلل أعضاءه وجوارحه بها، لم يكن إلا منتهياً عن الفحشاء والمنكر، وكذلك الصيام من شعبها، لأن التملؤ من الطعام والشراب رأس البواعث على الفحشاء والمناكير، ومعلوم في العادات أن الجائع العطشان لا يجد

---

(١) الجامع لشعب الإيمان (٧/١٦٧ـ١٦٩).
(٢) البقرة (١٨٣).
(٣) العنكبوت (٢٥).

في نفسه من قلق الشهوات ما يجده منه الممتلىء من الطعام والشراب، وإذا كان كذلك فقد حصل من الصيام التقوى.

وفيه وجه آخر؛ وهو أن المعنى: {**لعلكم تتقون**} الكفران والتغافل والتجاهل بقدر النعمة عن شكرها، وذلك أن الناس إذا كانوا متمكنين طول الدهر ليلاً ونهاراً من الأكل والشرب، نسوا الجوع والعطش وغفلوا عن شدهما، وبحسب ذلك يجعلون موقع نعمة الله عليهم بالطعام والشراب ويغفلون عن شكرها، ففرض الله عليهم الصوم مدة من المدد ليستشعروا أن التمكن من الأكل والشرب لا يقع بمجرد وجود الطعام والشراب، ولكن يحتاج مع الوجود إلى إطلاق المولى وإباحته، فيكون ذلك أطراً لإيمانهم، ثم يكفوا عنها لوجهه، فيكون ذلك عبادة لهم، ثم يجدوا خلال الكف توقاناً إليهما ويصبروا، فيكون ذلك إذكاراً بقدر النعمة التي كانت عليهم طول الدهر بالإطلاق والإباحة، حتى إذا ردت إليهم شكروها وأدَّوْا حقها، وهذا لا شك أنه من أبواب التقوى، وهو نظير ما قيل في الأمراض.

وفيه وجه آخر؛ وهو أن يكون المعنى: {**لعلكم تتقون**} البخلَ وإهمالَ المحتاجين والتغافل عنهم، وذلك أن الجوع والعطش أمران جبل الناس عليهما، وفيهم أغنياء وضعفاء، فإذا استمر للأغنياء الأكل والشرب، فهؤلاء لم يدروا ما الجوع، ففرض عليهم الصيام مدة، حتى إذا أحسوا من تأخر الطعام عنهم باليسير من الجهد، تذكروا بذلك حالَ من يطوي يوماً بليلته أو أكثر من ذلك لا صائماً ولا طاعماً لشدة فقره، فيصير ذلك سبباً لعطفهم على الضعفاء والإحسان إليهم وشكرهم نعمة الله عندهم، ولا شك أن المواساة والإحسان من أبواب التقوى. اهـ

إن أيـام السـنة تمضـي، والعمر سرعان ما ينقضي، والأعمال المختلفة تتلاحق، والإنسان في دوامة من المشاغل لا تنتهي، ولا شك أنه تمر أوقات على المسلم وأحداث تنبهه للرجوع إلى مولاه، فيؤوب ويرجع، وسرعان ما يتلاشى ويضـعف، وهكـذا، وسبب ذلك كله ومرده إلى فقدان تلك الكلمة الصغيرة المـبنى، الكبيرة المعنى، "التقوى" فإذا ما دعتك نفسك الأمارة بالسوء إلى تجاوز حـدود الله تعـالى وسـولت لك ارتكاب معصية أو مخالفة أمر فتذكر وتأمل "التقوى"، واجعلها نصب عينيك في بيتك، وبين أهلك، وأولادك، وفي مكتبك، وبـين موظفيك، وفي الشارع، وبين إخوانك المسلمين، وفي خلوتك وانفرادك، وفي حالة أداء عبادتك وعلاقتك بربك، وفي كل شأن من شؤون حياتك.

ولعـل المسلم في رمضان وهو يستشعر بركات هذا الشهر المبارك ونفسه تمـيل إلى فعـل الخير وترغب في عمل الصالحات، يعاهد المسلم ربه لكي يحقق التقوى وهو يستشعر وصية الله لـه حين يسمع ربه يأمر بقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ (١)

وممـا ينبغي أن يتحلى به المؤمن لباس التقـوى: ﴿ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٌۚ ﴾ (٢)

جعلـني الله وإيـاكم من المتقين الأبرار، اللابسين لباس التقوى في الليل والنهار، إنه سميع قريب مجيب، وهو المستعان.

---

(١) آل عمران (١٠٢).

(٢) الأعراف (٢٦) .

الرسول ﷺ ومقاصد الصيام

إن لرمضان والصيام منـــزلة خاصة عند رسول الله ﷺ لما يحتويان عليه من الفضائل والخصائص والسمات والمزايا.

۞ فمن هديه عليه الصلاة والسلام صيام شهر رمضان، الركن الرابع من أركان الإسلام، لا يقوم إلا به، روى الشيخان عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رســـول الله ﷺ قال: (**بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمـــداً رسول الله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج بيت الله الحرام**) [١]

۞ ومـــن هديه ﷺ بيانه أن صيام رمضان مكفر للخطايا والسيئات، يمحو الله بـــه الذنـــوب والآثام، ولا شك أن الإنسان معرض للخطأ والزلل، ويعتريه النقص والخلل، فإذا ما جاء رمضان وصامه العبد المسلم غفر الله له ذنوبه وكفّر عنه سيئاته، روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رســـول الله ﷺ : (**الصـــلوات الخمـــس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان، مكفرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر**)[٢]

---

(١) أخرجه البخاري (٨) ومسلم (١٦).

(٢) أخرجه مسلم (٢٣٣) (١٦).

ولكـــن يشترط لهذا التكفير أن يكون الصيام خالصاً لله عز وجل، يصومه العبد إيماناً بالله سبحانه وتعالى، ورضىً بفريضة الصيام.

ومـــن شرط التكفير أن يصومه العبد احتساباً للثواب والأجر، فلا يعرضه للنقص، جاء في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **(من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر لـــه ما تقدم من ذنبه)**(١). ولقد بين الرسول ﷺ فضلاً آخر للصيام، فقد روى الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قـــال رسول الله ﷺ: **(كل عمل ابن آدم لـــه إلا الصوم، فإنه لي وأنا أجزي به، يدع شهوته وطعامه من أجلي)**(٢)

فســـبحان من إذا أعطى أجزل، وإذا منَّ أكرم وأحسن؛ الأعمال الصالحة كـــلها تضـــاعف إلى ســـبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، حتى تصل الحسنة الواحدة مبالغ عظيمة حتى تصبح كالجبال الشم مع الإخلاص لله عز وجل، ومع هـــذا كله فالصيام يتفوق على ذلك كله، فيسنده ربنا عز وجل إلى نفسه، فلا يعـــلم بحـــد الأجر فيه أحد: **(إلا الصوم، فإنه لي وأنا أجزي به)** فهل استشعر الصـــائم حقيقة هذا الأمر؟ وصام إيماناً واحتساباً، لماذا كل هذا؟ يقول الله عز وجـــل: **(يـــدع شهوته وطعامه من أجلي)** فإذا ترك الأكل والشراب في نهار رمضـــان من أجل الله تعالى الذي أمره بذلك، وإذا ترك الجماع ودواعيه فإنما يـــتركه لأنـــه صائم، لذا؛ فيستبشر الصائمون بأنهم في ضيافة أجود الأجودين وأكرم الأكرمين.

---

(١) أخرجه البخاري (١٩٠١) ومسلم (٧٦٠).

(٢) أخرجه البخاري (١٨٩٤، ١٩٠٤) ومسلم (١١٥١).

۞ ومـــن هديه عليه الصلاة والسلام في بيان فضائل رمضان والصيام، ما بيـــنه ﷺ في الحديـــث السابق الذي رواه الشيخان: (**والذي نفس محمد بيده لخلـــوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك**)[١] تلك الرائحة الكريهة الـــتي تخرج من جوف الصائم ومعدته عن طريق فمه، والتي لا يقبلها أحد، تقع عند الله تعالى موقعاً عظيماً كبيراً، ذلك أنها يوم القيامة أطيب عند الله من رائحة المســـك. فليتأمل المسلم وليتدبر: كيف انقلبت هذه الرائحة الكريهة إلى رائحة زكية عطرة يفوح عطرها مسكاً، كل ذلك بسبب الصيام.

۞ ومـــن هديه عليه الصلاة والسلام في بيان فضائل رمضان والصيام، ما ذكـــره في الحديث السابق بقوله: (**للصائم فرحتان يفرحهما: إذا أفطر فرح بفطره، وإذا لقي ربه فرح بصومه**)[٢] فالصائم يتمتع بالفرح والسرور في دنياه وآخرته، أما في الدنيا فيكمن الفرح عند تناوله طعام الإفطار، فيفرح الصائم لما أتم الله تعـــالى علـــيه نعمـــة الصيام، وأنه أباح لـــه ما كان محرماً عليه في نهار رمضان من الأكل والشرب والتمتع بالشهوات والملذات، وأما في الآخرة فيفرح عـــند لقاء ربه، حيث يجد جزاءه عند ربه عطاءً وإحساناً، يجد ما لا عين رأت، ولا أذن سمعـــت، ولا خطر على قلب بشر، ويدخل الجنة من باب الريان الذي لا يدخله غير الصائمين، فيفرح الصائم فرحاً شديداً، ويجد سروراً وحبوراً.

۞ ومن هديه عليه الصلاة والسلام في بيان فضائل الصيام ورمضان، بيانه علـــيه الصـــلاة والسلام أن دعاء الصائم مقبول عند الله تعالى، فقد روى أحمد والـــترمذي وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (**ثلاثة لا ترد**

---

(١) أخرجه البخاري (١٨٩٤) ومسلم (١١٥١).
(٢) أخرجه البخاري (١٩٠٤) ومسلم (١١٥١).

دعوتهم) وذكر منهم: (**الصائم حتى يفطر**) [(١)] فليتحر المسلم شرف الزمان وشرف العبادة، فيكثر من الدعاء واللجوء إلى الله تعالى في هذا الشهر المبارك، لعل الله سبحانه وتعالى أن يمن علينا بدعوة مستجابة ومغفرة ورحمة.

هذا بيان رسول الله ﷺ لفضائل الصيام وشهر رمضان من أجل الترغيب والحث على المبادرة والإخلاص، والمسارعة في الخيرات واجتناء الثمرات الطيبات.

أسأل الله تعالى أن يرزقنا من فضله، وأن يجعلنا من المقبولين في هذا الشهر الكريم، إنه سميع قريب مجيب، وهو المستعان.

---

(١) أخرجه أحمد (٢/٣٠٥) والترمذي (٣٥٩٨) وابن ماجه (١٧٥٢) وحسنه الترمذي بينما ضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٢٥٩٢). وصحح الحديث بلفظ: "ثلاث دعوات مستجابات: دعوة الصائم ودعوة المظلوم والمسافر" أخرجه العقيلي في الضعفاء (١/٧٢) والبيهقي في شعب الإيمان (٣٥٩٤) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٠٣٠).

الرسول ﷺ وآداب الصيام (١)

إن المسلم الحريص على مرضاة مولاه يتمتع بنعمة الصيام وحلاوة القيام وسائر الطاعات، وهو يؤدي هذه العبادات يتقرب بها إلى مولاه الكريم طامعاً في المغفرة والرضوان .

وهذه غاية كبيرة وهدف عظيم ومسعى كريم، لا يتم الوصول إليه إلا بالسير في منهاج الرسول ﷺ وهديه الكريم، فمن معالم الاقتداء بهذا النبي الكريم ﷺ التعرف على هديه في آداب الصيام وعوامل القبول والإجابة لرمضان والصيام.

وعلى رأس هذه الآداب بل الشروط: النية الخالصة للصيام، فشأن الصيام شأن أي عبادة لله عز وجل، فالمكلف لا تقبل منه أية عبادة إلا بهذه النية، تحقيقاً لقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ ﴾[1] وروى الشيخان عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : (**إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه**)[2] .

---

(١) البينة (٥)

(٢) أخرجه البخاري (١) ومسلم (١٩٠٧).

وقد ذكر أهل العلم أن نية صيام الفرض يجب أن تبيت من الليل، لما روى ابن عمر ﷺ عن حفصة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : **(من لم يبيت الصيام قبل الفجر فلا صيام له)**(١) ، ولا يلزم التلفظ بهذه النية، ويقوم مقام ذلك استشعاره للقيام لوجبة السحر مثلاً، أو أي عمل يدل على أنه سيصوم.

وعليه يجب على الصائم أن يستشعر نية صيامه، وأن الصيام عبادة يتقرب بها إلى مولاه، فلم يترك طعامه وشرابه وشهوته وقضاء وطره إلا تنفيذاً لأمر مولاه، وهذا كله يشعر ببعض الأخطاء التي يقع فيها كثير من الصائمين بقصد أو بغير قصد، فالذي لا يهتم لقدوم شهر رمضان وإهلال إهلاله، والآخر المسافر الذي يتردد بين الفطر ومواصلة الصيام، والثالث الذي لا يعرف من صيامه إلا ترك الأكل والشرب والجماع دون حضور قلبي لعظم الأجر والثواب.

هؤلاء وأمثالهم عرضوا صيامهم للنقص والخلل، فحريٌّ بالمسلم أن يجدد نية الصيام كل ليلة، ليعظم الأجر ويزداد الثواب.

ومن أهم الآداب في هديه ﷺ أن يكون الصائم متبعاً فيه هديه ﷺ وسائراً على منهاجه، ومن ذلكم صيامه من جميع المفطرات الحسية والمعنوية، **والمفطرات الحسية:** كالأكل والشرب والجماع ومقدماته، فيصون نفسه من طلوع الفجر الثاني إلى غروب الشمس، قال تعالى: ﴿ فَٱلْـَٔـٰنَ بَـٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۚ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ۚ وَلَا تُبَـٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَـٰكِفُونَ

---

(١) أخرجه أحمد (٢٨٧/٦) وأبو داود (٢٤٥٤) والترمذي (٧٣٠) والنسائي (٣٣٠) والدراقطني (٢١٩٣، ٢١٩٤) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٥٣٤، ٦٥٨٣).

﴿... فِي ٱلْمَسَٰجِدِ ۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾﴾ [(١)]

فمن أكل أو شرب من بعد طلوع الفجر إلى غروب الشمس من غير عذر فقد ارتكب جرماً عظيماً، واحتمل إثماً مبيناً، روى أصحاب السنن عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (**من أفطر يوماً من غير رخصة ولا مرض لم يقض عنه صوم الدهر كله وإن صامه**)[(٢)]، وهذا وإن استدل به على عظم الوزر والإثم لا ينفي وجوب القضاء. ويتبع الأكل والشرب كل ما يصل إلى الجوف عن طريق الأنف أو الفم مما يغذي به الجسد كالإبر المغذية ونحوها.

ومن المفطرات الحسية: الجماع في نهار رمضان، وهو أعظم المفطرات وأكثرها إثماً وأشدها جرماً، فمع بطلان الصوم وفساده يجب القضاء والكفارة المغلظة، وهي عتق رقبة مؤمنة، فإن لم يجد فصيام شهرين متتابعين، فإن لم يستطع فإطعام ستين مسكيناً مع التوبة والاستغفار والإنابة إلى الله جل وعلا. ومن هذا نعلم أن هذه الأمور المحظورة في نهار رمضان تعطي دلالة واضحة للصائم بأن عليه أن يصون صومه وأن يبتعد عن كل شبهة تؤدي إلى إفساده، "ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه"[(٣)].

---

(١) البقرة (١٨٧).

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ٣٨٦) وأبو داود (٢٣٩٦) والترمذي (٧٢٣) وابن ماجه (١٦٧٢) وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٥٤٦٢)

(٣) جزء من حديث أخرجه البخاري (٥٢) ومسلم (١٥٩٩).

ومــن **أهم الأشياء المعنوية التي يجب تركها** تمشياً مع هديه ﷺ ما وجهنا إلـيه علـيه الصـلاة والسلام فيما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **(الصوم جنة، فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب، فإن سابه أحد أو شاتمه فليقل إني صائم)**(١)

فــإذا تأملت هذا التوجيه العظيم وأنت تصوم هذا الشهر الكريم وجدت مــنهاجاً خلقــياً خطّه عليه الصلاة والسلام، يجب أن تتمثله في حياتك، وهذا فضل عظيم وثواب جزيل، وغاية يجب أن يسعى إليها المسلم الذي هذبه صومه وقــوّم خلقه وأدَّب جوارحه، فصومه يمنعه من الفحش والبذاءة كما يمنعه من دواعي الجماع في نهار رمضان، لئلا يقع في المحظور، ويعني ذلك أنه لا يستعمل إلا القــول الحســن والفعل الطيب، مبتعداً عما يخدش صومه من المحرمات أو المكروهات، بل ينبغي أن يصل إلى درجة أعلى، تلكم هي ضبط النفس وكبح الانفعــالات عندما يعتدى عليه بكلمة غير مناسبة أو لفظ غير لائق أو سباب أوشتائم، ولا يكتفي بعدم الرد، إنما ينبه الآخر إلى أن سبب منعه من مجاراته في خلقه المشين هو الصوم، ألا ما أجمل الصائم عندما يهتدي بهدي رسول الله ﷺ ويتحلى بتلك الآداب التي تظهر على جوارحه.

أمــا المجتمع المسلم الذي يؤدي أفرداه هذه العبادة الجليلة ويتخلقون بهذا الخلــق النبيل؛ فلاشك أن مجتمعاً كهذا قائماً بما أمر الله وانتشرت فيه الآداب الإســلامية والأخلاق الإيمانية، يكون مدرسة دعوية تخرج الصالحين بأعمالهم وأخلاقهم وسلوكهم قبل أقوالهم.

ألا فلْــنَعِ هذا معشر الصائمين ليتحقق الخير في الدنيا والآخرة، رزقني الله وإياكم ذلك، وجعلنا هداة مهتدين، إنه سميع قريب مجيب، وهو المستعان.

---

(١) أخرجه البخاري (١٨٩٤) ومسلم (١١٥١).

الرسول ﷺ وآداب الصيام (٢)

إن الحديث يلذ ويطيب، ويزداد لذة وحلاوة إذا كان الحديث يتناول حياة المصطفى ﷺ، فحياته كلها جهاد وعبادة وخلق واستقامة، وبر وصدقة، وسلوك حسن ودعوة وآداب فاضلة ومعانٍ سامية نبيلة وأمن وسعادة.

يجد لذة ذلك أولئك الذين اتخذوا سيرته نوراً ونبراساً يستضيئون فيه، ومدرسة يتعلمون فيها، ومنهاجاً يسيرون عليه، فكيف إذا ارتبطت هذه السيرة بجانب من جوانب العبادة التي تهم كل مسلم ومسلمة.

روى الشيخان وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **(كل عمل ابن آدم يضاعف له، الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، قال الله تعالى: إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به، يدع شهوته وطعامه من أجلي، للصائم فرحتان: فرحة عند فطره، وفرحة عند لقاء ربه، ولخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، والصيام جنة، فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب، فإن سابَّه أحد أو قاتله فليقل: إني صائم)**[1]

ما أروعها من كلمات ترغيب للسباق في فعل الخيرات والتنافس في عمل الصالحات، فيض كريم من رب كريم، واهب العطايا ومجزي النعم، عمل قليل يضاعف أضعافاً مضاعفة إلى سبعمائة ضعف، فأين المتسابقون والمتسابقات في

---

(١) أخرجه البخاري (١٩٠٤) ومسلم (١١٥١).

شـــهر الخيرات والبركات، الذي خصه الله تعالى بمزيد من الفضل والحسنات: (**كل عمل ابن آدم يضاعف له، الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، قال الله تعـــالى: إلا الصـــوم فإنه لي وأنا أجزي به**) فلا حصر لهذه الحسنات ولهذا الأجر والثواب، مع إخلاص هذا الصيام لله سبحانه وطلب الأجر والمثوبة، ولماذا هـــذا الفضـــل العظيم؟ **يدع شهوته وطعامه من أجلي**، فسبب الترك للملذات والشهوات من أجل الله سبحانه وتعالى، ألا يكون عملنا للواجبات والمستحبات من أجل الله تعالى، وتركنا لجميع المحرمات والمكروهات من أجل الله تعالى.

إن هـــذه غاية عظيمة ترنو إليها القلوب الذاكرة والأفئدة الصافية، ومثل هـــذه القلـــوب يحرص الشيطان أن يدخل عليها ليكدر صفوها بأن يخرق هذا الإخلاص، فيجمع معه نوايا فاسدة من نظر العباد والرياء، أو ترغيبه في مصالح دنيوية قريبة، ونحو ذلك يخدش هذا الإخلاص، فيخرج صاحبه من دائرة الأجر والثواب إلى دائرة الأوزار والآثام.

وحـــريٌ بكل مسلم أن يبحث عمَّا يؤدي إلى السعادة والفرح والسرور والحبور، إن ذلك يجده العابد المسلم في العبادة التي يستشعر حلاوتها وطعمها: (**للصائم فرحتان: فرحة عند فطره**) في الدنيا، يفرح بما أنعم الله عليه من إتمام الصـــيام، ويفرح بأن أحل الله له ما كان محرماً عليه في النهار، والفرحة الثانية: الفرحة العظمى: (**عند لقاء ربه**) عندما يجد جزاء صيامه وعبادته، فالمسلم العاقل هو الذي يحث الخطى ويسابق غيره للوصول إلى هذا الفرح.

ثم لنتأمل قوله عليه الصلاة والسلام: (**ولخلوف فم الصائم أطيب عند الله مـــن ريـــح المسك**) فعندما تخلو المعدة تفوح منها رائحة كريهة، هذه الرائحة تتقلب عند الله تعالى إلى رائحة المسك الطيب الفواح، ألا فما أجمل تلك العبادة التي تبدل الكريه إلى جميل وحسن.

ومع هذا فالصوم جنة وساتر عن النار، وحاجز عن غضب الجبار، وواق من عذاب جهنم، فليتسابق الصائمون في إحسان صيامهم، ومراعاة عباداتهم.

هذه الفضائل العظيمة والمنن الجزيلة والعطايا الكبيرة، لا تكون لكل صائم خلط في صيامه أموراً سيئة وأخرى حسنة، بل لمن أخلص في صيامه وقام بآدابه حق القيام، يلخص ذلك رسول الله ﷺ بقوله: **(فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب، فإن سابه أحد أو قاتله فليقل: إني صائم)** تربية أيما تربية للفؤاد والجوارح، وتحكم في العقل والعاطفة، بأن يكون الموجد لها هو الدين، متمثلاً في هذا الصيام، فالصيام هو الذي يمنع الصائم من ممارسة الأعمال المشينة والكلام غير اللائق، يؤكد هذا ما جاء عن رسول الله ﷺ أنه قال: **(من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه)**[1]

قال جابر رضي الله عنه: إذا صمت فليصم سمعك وبصرك ولسانك عن الكذب والمحارم، ودع عنك أذى الجار، وليكن عليك وقار وسكينة، ولا يكن يوم صومك وفطرك سواء.

إن قلب المؤمن الصائم أبيض نقي، يحركه الإيمان في شعب الخير المتعددة، ويأتي رمضان والصيام ليغسل ما ران عليه من الأوساخ والدنس، فلا تجعل الأعمال المشينة والممارسات السيئة تختلط في هذا القلب النقي، فصن جوارحك وحواسك كلها عما يغضب ربك ومولاك، فبغض المسلمين وحسدهم والحقد عليهم والكذب عليهم وخيانتهم وغشهم وخداعهم وغيبتهم والنميمة بينهم وقول الزور واللهو والباطل وسبابهم كلها أمراض خطيرة فتاكة تكدر صفو

---

(١) أخرجه البخاري (١٩٠٣).

الصيام وتفسده، ولا تبلغ صاحبه تلك الأجور، بل تورد صاحبها المهالك، أسأل الله تعالى أن يغفر لنا، وأن يتجاوز عن سيئاتنا، وأن يعفو عن أخطائنا وأن يعيننا على أنفسنا، ولا يكلنا إليها ولا إلى أحد من خلقه طرفة عين، إنه سميع مجيب، وهو المستعان.

هدي الرسول ﷺ في الفطور والسحور

للرسول ﷺ أحوال مع رمضان في دعائه وذكره، وقراءته وتدبره، وجوده وإحسانه، كما أن له أحوالاً مع أكله وشربه في رمضان: فطراً وسحوراً، ولا شك أن هديه في ذلك أكمل الهدي، فيحسن بنا أن نقف على ذلك الهدي، وأن نتبع ذلك الأثر.

والسحور هي أكلة الختام في آخر الليل للصائم، ولقد اهتم بها رسول الله ﷺ ورغب في العناية بها وتعاهدها، وكان يسميها باسم حسن، كما أخرج أحمد والنسائي رحمهم الله أن رسول الله ﷺ قال: (**عليكم بغداء السحور، فإنه هو الغداء المبارك**)[1].

وتكرر هذا الاسم الطيب في كلام الرسول ﷺ عن السحور، فقد أخرج الشيخان وغيرهما أن رسول الله ﷺ قال: (**السحور كله بركة**)[2]، وكذا أخرج الإمام أحمد وأبو داود وغيرهما أن النبي ﷺ قال: (**السحور أكله بركة، فلا تدعوه، ولو أن يجرع أحدكم جرعة من ماء، فإن الله وملائكته يصلون على المتسحرين**)[3].

---

(١) أخرجه أحمد (٤/١٣٢) والنسائي (٢١٦٣) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٠٨).

(٢) أخرجه البخاري (١٩٢٣) ومسلم (١٠٩٥).

(٣) أخرجه أحمد (٣/١٢) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٣٦٨٣).

فحـــريٌ بـــك أيهـــا المسلم الصائم أن تحرص على هذه البركة، التي تأتي ـــ والله أعـــلم ـــ من وجه كونها أكلة في وقت فاضل: وقت نزول الرب جل وعـــلا إلى سمـــاء الدنـــيا ومـــناداته لعباده المؤمنين التائبين المستغفرين الداعين المستغيثين، ليستجيب دعاءهم، ويتوب على تائبهم، ويغفر لمستغفرهم، ويغيث مستغيثهم.

ووجـــه ثان من أوجه البركة المذكورة في الحديث: أن هذا الوقت غالباً ليس وقت شهوة ونهم وأكل وشرب، وإنما يتناول مريد الصيام شيئاً ولو يسيراً مـــن الطعـــام والشراب، وفي هذا استجابة لمراد الله تعالى وطاعة لرسوله ﷺ، ولاشك أن طاعة الله ورسوله كلها خير وبركة، ومن هنا فلا يحرم المتسحر من بركة الطاعة بفضل الله ورحمته.

ومـــن أوجه البركة أيضاً: أن الصائم يتقوى بأكلة السحور على الصيام، فيؤديه بقوة ونشاط، كما يعينه على أداء العبادات الأخرى.

ومما يظهر أثر بركة السحور اتباع هدي نبينا محمد ﷺ فيه، فإن من هديه صـــلوات الله وسلامه عليه تأخيره إلى آخر الليل، روى الشيخان أن رسول الله ﷺ قال: (**لا يزال الناس بخير ما عجَّلوا الفطر وأخروا السحور**)[1] ، ولا يعني هذا التأخير تجاوز الحد، فيأكل الإنسان وهو يسمع الأذان حتى ينتهي، كما هو منتشر عند كثير من العامة.

فحـــريٌ بـــك أيها المسلم الصائم أن تطلب هذه الخيرية، وبخاصة في هذا الوقـــت المبارك الذي اجتمع فيه شرف اليوم وشرف الشهر، فتستغل هذه المنح

---

(١) أخرجه البخاري (١٩٧٥) ومسلم (١٠٩٨).

العظيمة من الرب سبحانه وتعالى، فبعد استيقاظك وذكرك لله جل وعلا وتطهرك، تستفتح يومك بركعتين أو ــ أكثر ــ لله سبحانه وتعالى، وتدعو الله بما شئت من حاجاتك الدنيوية والأخروية.

ومن خصوصيات رمضان والصيام: الفطر عند الغروب، ويتحقق بغروب الشمس، ومن السنة تعجيل الفطر كما سبق في الحديث: (**لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر وأخروا السحور**) وأن يكون هذا الإفطار على رطب، فإن لم يجد فتمر، فإن لم يجد فماء، لما روى الإمام أحمد وأبو داود والترمذي عن أنس رضي الله عنه أنه قال: **كان رسول الله ﷺ يفطر على رطبات قبل أن يصلي، فإن لم تكن رطبات فتمر، فإن لم تكن تمرات حسا حسوات من ماء**"[1]

وأخرج الإمام مسلم ــ رحمه الله ــ وغيره عن سلمان بن عامر الضبي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (**إذا أفطر أحدكم فليفطر على تمر، فإنه بركة، فإن لم يجد تمر فالماء فإنه طهور**)[2]

وعند فرحة الإفطار التي نبه إليها الرسول ﷺ بتمام صوم الصائم في كل يوم، ينبغي ألا يَغفُل عن شكر المنعم، والإكثار من الدعاء عند الفطر، فقد روى ابن ماجه وغيره أن النبي ﷺ قال: (**إن للصائم عند فطره دعوة لا ترد**)[3]

---

(١) أخرجه الترمذي (٦٩٦) وقال: هذا حديث حسن غريب. وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٤٩٩٥).

(٢) أخرجه أبو داود (٢٣٥٥) والترمذي (٦٥٨) والنسائي (رقم ٢٥١٨) وابن ماجه (١٦٩٩). وابن خزيمة (٢٠٦٧) وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٣٨٩) ولكن يعضده غيره.

(٣) أخرجه ابن ماجه (١٧٥٣) والحاكم (٤٢٢/١).

هذه النعم العظيمة من تمام الصيام ذلك اليوم، وتحقيق فرحة الفطر التي قال عنها الرسول ﷺ : (**للصائم فرحتان: فرحة عند فطره، وفرحة عند لقاء ربه**)، واستجابة دعوات الصائم عند فطره، كل هذه النعم تحتاج إلى وقفة مع النفس بتأمل ومحاسبة ليشكر عليها ربه جل وعلا، الذي تفضل فأنعم عليه بهذه النعم وغيرها، ومن مقتضيات هذا الشكر تجديد الإخلاص لله تعالى في عبادة الصيام وفي كل عبادة، والثناء عليه جل وعلا، والدعاء المستمر بأن يديم علينا ربنا هذه النعم الجزيلة والعطايا الكثيرة، وكذا عدم فعل ما يخالف شرعه أو يناقض تعاليم دينه سبحانه وتعالى، كما قال جل شأنه: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ۝٧﴾ (١)

ومما ينبغي أن يؤكد عليه بشأن الفطور والسحور: أن يجتهد المسلم في تحري الحلال الطيب فيهما، وفي كل مال يكتسب، فيجتهد في طرائق الكسب الحلال، وفي سبل تصريف هذا المال، فمسؤوليته عظيمة وعاقبته جسيمة، فالله سبحانه أمرنا أن نتعامل بالطيبات والأكل منها، وأخبرنا رسول الله ﷺ بـ (**أنه طيب لا يقبل إلا طيباً وأن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين**، فقال:

﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ۝٥١﴾ (٢)

وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ۝١٧٢﴾ (٣)

---

(١) إبراهيم (٧).

(٢) المؤمنون (٥١) .

(٣) البقرة (١٧٢) .

ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء، ويقول: يا رب، يا رب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وغذي بالحرام، فأنى يستجاب له)[1].

فليحذر المسلم الساعي إلى مرضاة ربه من أن يدخل جوفه لقمة حراماً أو شربة حراماً، لأن هذا الشيء اليسير من الحرام يعد حاجزاً ومانعاً للدعاء فلا يقبل، ولا يقف الأمر عند هذا الحد، بل يتعداه إلى الأسرة والذرية والعياذ بالله.

وعندما يتناول المسلم وجبتي الإفطار والسحور مع أولاده وأسرته، ويأكلون أطيب المطاعم والمشارب بفرح وسرور وغبطة وحمد وثناء وشكر لله سبحانه وتعالى على ما رزقهم من الطيبات، فينبغي للمسلم وهو في هذه الحالة أن يتذكر إخواناً له من المسلمين في بقاع من العالم مختلفة،لا يجدون التمرة ليفطروا عليها، ولا كسرة خبز ليطعموا أولادهم، ولا كوباً من الحليب ليرضعوا أطفالهم.

ليكن صومك وفطرك دافعاً لك لتذكر إخوانك هؤلاء، فتجتهد كل الاجتهاد لكي يشاركك إخوانك في تمراتك وأكلاتك، فتمد يد العون والمساعدة لهم بأسرع وقت ممكن، والأجر بإذن الله تعالى أسبق: ﴿ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٠﴾ ﴾[2].

ومن الأمور التي نبه عليها الرسول ﷺ عند تناول أكلة السحور، وهي من المعاني الإيمانية التي يجب تعميقها في النفوس: مخالفة أهل الكتاب في صيامهم،

---

(١) أخرجه مسلم (١٠١٥).

(٢) البقرة (١١٠).

روى مسلم وغيره عن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **(فصل ما بين صومنا وصوم أهل الكتاب أكلة السحور)**(١)

ومما ينبغي أن يعلم أن مخالفة أهل الكتاب في كل كبير وصغير حتى في أكلة السحور مبدأ عظيم من مبادىء هذا الدين وسمة من سماته الجليلة التي يعتني بها المسلم في كل جزئية من جزئيات حياته.

وليحذر المسلم من خرق هذا المبدأ، أو نقض هذه السمة، فينساق وراء الأمم الكافرة في أفعالها وطرائق حياتها، فضلاً عن عباداتها وأعيادها، ولهذا قال النبي ﷺ: **(من تشبه بقوم فهو منهم)**(٢).

لقد كانت عزة الأمة المسلمة وغلبتها واحترام الأمم الأخرى لها حينما وقفت على ما جاء به نبيها محمد ﷺ من عقائد وعبادات وشرائع، وشعرت أنها بما تحمله من هذا الدين فوق الأمم الأخرى وأنها الأعز والأكرم، لأن معها الحق المنزل من عند الله تعالى، أما غيرها فليس لديها إلا أهواء البشر وفلسفات العقول البشرية.

هذه قاعدة عظيمة وجليلة: أعني عزة الأمة المسلمة بما تحمله من هذا الدين، فهل يبعث رمضان في نفوسنا هذه القاعدة، فنعلمها ونفقهها ثم نطبقها في جميع شؤون حياتنا صغيرها وكبيرها، فنعتز بديننا عقيدة وسلوكاً، شريعة ومنهاج حياة، حتى يعود للأمة المسلمة عزها ومجدها وسؤددها، إن كل فرد مسلم صائم ينطلق من صيامه في تطبيق هذا المبدأ العظيم في كل أمر من أمور

---

(١) أخرجه مسلم (١٠٩٦).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٠٣١) وأحمد (٢/٥٠) والطبراني في الأوسط (٨٣٢٣) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦١٤٩).

الحـــياة، وينبذ كل تقليد وتشبه بالكفرة في دقائق الأشياء وجليلها، وإنك لترى أقوامـــاً ضـــعف اعتزازهم بدينهم، فبهرهم ما عند الغرب والشرق من أفكار منحرفة وأعراف معوجة، فظنوا أنهم رقوا بأنفسهم ومجتمعهم مراقي العلا، وما عـــلموا أنهم أذابوا شخصياتهم وتقهقروا بمجتمعاتهم، فأصبحوا أذلاء تابعين لا خير فيهم، لا يحسب لهم حساب، ولا يقام لهم وزن.

لنتعـــلم مـــن مدرسة رمضان عزنا بديننا، واستقلال شخصيتنا، وعلونا بتمسكنا بشريعة ربنا [1].

أســـأل الله تعـــالى أن يبصرنا بديننا ويفقهنا فيه وأن يرزقنا الإخلاص في الأقوال والأفعال إنه سميع مجيب وهو المستعان.

---

(١) لا يفهم من هذا التقرير أن معاملة أهل الكتاب لا تجوز، فهناك فرق بين تقليدهم واتباعهم، وبين التعامل معهم بيعاً وشراءً، فالأول لا يجوز، والثاني جائز. والله أعلم

الرسول ﷺ وكثرة الأعمال الخيرية في رمضان وحثه على التنافس فيها

إذا هلَّ هلال شهر رمضان حلَّ بساحتنا تذكرنا لسيرة المصطفى ﷺ، وما فيها من كثرة العبادة والطاعة وسرعة مبادرته لفعل الخيرات والتنافس فيها، فبذلك يستغل هذا الشهر المبارك لكي يزداد رصيد الحسنات، وبهذا كان ﷺ قدوة لهذه الأمة في المسارعة إلى الخيرات والمنافسة فيها.

يحدث عن ذلك العلامة ابن القيم ـ رحمه الله ـ بقوله: « وكان من هديه ﷺ في شهر رمضان الإكثار من أنواع العبادات، فكان جبريل عليه السلام يدارسه القرآن في رمضان، وكان إذا لقيه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة، وكان أجود الناس، وأجود ما يكون في رمضان[١]، يكثر فيه من الصدقة والإحسان وتلاوة القرآن والصلاة والذكر والاعتكاف.

وكان يخص رمضان بالعبادة ما لا يخص غيره من الشهور، حتى إنه كان ليواصل فيه أحياناً ليوفر ساعات ليله ونهاره على العبادة، وكان ينهى أصحابه عن الوصال، فيقولون له: إنك تواصل، فيقول: (**لست كهيئتكم إني أبيت**

---

(١) أخرجه البخاري (١٩٠٢) ومسلم (٢٣٠٨/٥٠).

ــ وفي رواية : إني أظل ــ **عند ربي يطعمني ويسقيني)**[١]»[٢] اهـ كلام ابن القيم رحمه الله.

هذا وصف حال النبي ﷺ في عبادته وطاعته واستغلال وقته، مما يفيد حرصه عليه الصلاة والسلام في أداء العبادة والانشغال بها والإكثار منها في هذا الشهر المبارك.

ورسول الله ﷺ هو قدوة كل مسلم حريص على رضا مولاه، فلذا يجب على كل راغب في الخير عندما يسمع هذا الوصف وهذا الذكر أن يسارع إلى فعل الخيرات وترك المنكرات واجتناب الآثام والسيئات، فيستغل وقته بكل ما يفيده في الدنيا والآخرة، وهكذا كان حال السلف الصالح رضوان عليهم، سباقين لكل خير، متنافسين في كل ميادين الطاعة، سواء كان ذلك على مستوى الفرد منهم أو على مستوى الجماعة، وهاك مثالاً للتنافس الفردي لأصحاب الهمم العالية والقلوب المؤمنة الصادقة.

روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **(من أصبح منكم اليوم صائماً؟** قال أبو بكر: أنا. قال: **فمن تبع منكم اليوم جنازة؟** قال أبو بكر: أنا. قال: **فمن أطعم اليوم مسكيناً؟** قال أبو بكر: أنا. قال النبي ﷺ: **ما اجتمعت في امرىء إلا دخل الجنة)**[٣]

أما تنافسهم على مستوى الجماعة، فقد جاء في الصحيح أن جملة من فقراء الصحابة رضي الله عنهم جاءوا إلى رسول الله ﷺ شاكين حالهم، غابطين

---

(١) أخرجه البخاري (١٩٢٢) ومسلم (٥٥/١١٠٢).

(٢) زاد المعاد (٣٢/٢) وصوم النبي ﷺ (ص ٤٣ــ ٤٤).

(٣) أخرجه مسلم (١٠٢٨).

إخوانهم الأغنياء، لماذا؟! هل لأنهم أكثر منهم مالاً فقط؟ أم لأنهم يسافرون من هنا وهناك؟ هل لأنهم يتمتعون بملذات الدنيا وهم محرومون؟

إذاً فما السبب الذي جعلهم يشكون حالهم إلى رسول الله ﷺ هذا الشكوى؟

لم يكن لشيء مما سبق ذكره، ولكن لأن الأغنياء وجدوا ما يتصدقون به وما ينفقونه ويبذلونه في مشاريع الخير وميادين العمل الصالح؛ الجهاد والإطعام والإنفاق، فقالوا لرسول الله ﷺ: "ذهب أهل الدثور بالأجور، يصلون كما نصلي، ويصومون كما نصوم، ويتصدقون ولا نتصدق.

هَمُّ هؤلاء الفقراء ومشكلتهم أن إخوانهم الأغنياء سبقوهم في هذا الميدان العظيم، فأحزنهم ذلك، لأنهم لم يجدوا ما ينفقون. ولكن يأتي الجواب الكبير بأن ميادين الخير كثيرة، ومساحات السباق متعددة، ومجالات الأجور متنوعة، فشمروا عن سواعد الجد وسابقوا ونافسوا، لذلك أرشدهم الرسول ﷺ إلى شيء من تلك الميادين ليعوض ما فقدوا، فدلهم على ذكر الله سبحانه وتعالى بأن يسبحوا الله ثلاثاً وثلاثين، ويحمدوه ثلاثاً وثلاثين، ويكبروه ثلاثاً وثلاثين، دبر كل صلاة مفروضة، ويختموا المائة بـ "لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير"[1].

هكذا كان حال السلف الصالح رضوان الله عليهم في التنافس والتسابق والحرص والجد والعمل والإنتاج، فينبغي لكل مؤمن أن يتأسى بهم ويحذو

(١) أخرجه مسلم (٥٩٧).

حذوهم، ليصل إلى ما وصلوا إليه من رضا الله تعالى، وبلوغ جنته، وصحبة نبيه محمد ﷺ، قدوة السالكين وأنموذج السائرين إلى مرضاة رب العالمين.

ولاشك أن كل منافس ومتسابق يطمع لنيل مركز متقدم في سباقه ومنافسته، ولاشك أيضاً أن ثمار التسابق وفعل الخير وكثرته عظيمة، ونتائجها مثمرة مرضية في الدنيا والآخرة، يقول الله تعالى: ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾ ﴾[١]

إن التنافس في الأمور الشريفة، والمبادرة إلى مزيد من الأعمال الصالحة، يزيد التنافس شرفاً وهدى وتقى، ويفتح له من الخير ما لم يخطر له على بال، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ ﴿١٧﴾ ﴾[٢]

إن التنافس في الطاعات يضاعف الحسنات ويرفع الدرجات ويعلي المتنافس في أعلى المقامات، روى مسلم وغيره أن رسول الله ﷺ قال: **(من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء)**[٣]

---

(١) آل عمران (١٣٣ ــ ١٣٦).

(٢) محمد (١٧).

(٣) أخرجه مسلم (١٠١٧).

ومن أعظم ثمرات المنافسة في الخير القرب من الرب جل وعلا، قال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾﴾ (١)

إن أبـــواب الخــــير كثيرة ومفتوحة للراغبين، والمؤمن العاقل الحصيف هو الــــذي يبادر إلى الخيرات، ويجني الثمرات، وبخاصة في هذا الشهر المبارك، شهر الخـــير والنفحات، والذي تضاعف فيه الأجور والحسنات، فالله الله في استغلال الأوقـــات، والله الله في الاقـــتداء بســـيد الكائـــنات، والله الله في الإكثار من الصالحات، ما دام في الوقت مهلة، وفي العمر بقية، قبل فوات الأوان.

أســـأل الله تعـــالى أن يعيننا على أنفسنا، ولا يكلنا إليها ولا إلى أحد من خلقه طرفه عين، إنه سميع قريب.

---

(١) الواقعة (١٠ ــ ١١).

الرسول ﷺ والقرآن الكريم

إن للقــرآن الكــريم في حياة الرسول ﷺ منــزلة خاصة ومكانة عالية، وتزداد هذه المكانة خصوصية وتفرداً في شهر رمضان المبارك، فقد كان جبريل علــيه السلام يدارسه القرآن، وكان ﷺ يقرأ على أصحابه ويستقرئهم ويحثهم على القراءة، ويعقد الراية لأكثرهم حفظاً، ويُحرِّصهم على عدم تفلته منهم.

جــاء في الحديث المتفق عليه أنه ﷺ كان يقول: (**تعاهدوا هذا القرآن، فوالــذي نفسي بيده لهو أشد تفلتاً من الإبل في عقلها**)[1] فمن أهم ما يتعلق بالقرآن تعاهده ومراجعته، وتخصيص وقت يلازمه القارىء لقراءة القرآن.

إن لقــراءة القرآن الكريم أجراً عظيماً وثواباً جزيلاً، ويضاعف هذا الأجر ويــزداد أضعافاً مضاعفة بما لا يتصوره بشر ولا يحده عقل، وذلك في رمضان، أخرج الترمذي وغيره عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: (**من قرأ حــرفاً مــن كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول: (الم) حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف**)[2].

لو أن مسلماً أخذ مصحفه وقرأ فيه خمس دقائق، ثم حسب إن شاء عدد الأحــرف، وضــربها في عشر حسنات، ثم في سبعمائة، ثم نظر إلى ذلك الرقم

(١) أخرجه البخاري (٥٠٣٣) ومسلم (٧٩١).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٩١٠) وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب.

الهائل للحسنات التي سيظفر بها بفضل الله في هذا الزمن اليسير مع إخلاص النية، ترى لو استغل كل منّا وقته، وخصص جزءاً منه لقراءة كتاب الله تعالى وتدبره، فلك أن تتأمل أيها المسلم كم من الحسنات ستنالها بإذن الله ومنّه وكرمه، وكم من الأجر ستحصل عليه، أليس هذا دافعاً قوياً لقراءة القرآن بتدبر وتمعن.

ومن فضائل كتاب الله تعالى وقراءته وتدبره: أن تلاوته من أفضل العبادات وأعظم القربات، خاصة في هذا الشهر: شهر الخيرات والنفحات، فالله سبحانه وتعالى رتب على قراءته وتدبره أجراً كبيراً وثواباً جزيلاً، حتى إن القارئ الذي يجد مشقة وصعوبة في قراءته له أجران.

أخرج مسلم عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: قال رسول الله ﷺ: **(الذي يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن وهو يتعتع فيه وهو عليه شاق فله أجران)**(١)

ذكر أهل العلم أن الأجرين أحدهما على القراءة، والثاني لمشقتها على القارئ، ومن عظيم فضل القرآن الكريم على أصحابه، أنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه، فأي حظ وفوز أعظم من هذا الفوز يوم القيامة!!.

إن هذا الأجر العظيم وغيره مما لم يذكر، يحصل بإذن الله تعالى لكل قارىء للقرآن الكريم، ما دام أنه يقرأه بإخلاص وتجرد ورغبة ورهبة، ولكن يعظم الأجر ويزداد الثواب إذا قرأه القارئ بتدبر وخشوع وخشية وخضوع، لينتقل بعد ذلك من هذه الدائرة إلى دائرة العمل والتطبيق، والقراءة بتدبر تساعد على

---

(١) أخرجه مسلم (٧٩٨) وأخرج البخاري معلقاً: "الماهر بالقرآن مع الكرام البررة" في كتاب التوحيد، باب قول النبي ﷺ. وذكره ص١٤٤١.

الوصول إلى العمل به، أما التلاوة بدون تدبر ولا فهم فلا تنفع صاحبها النفع المراد، وإذا خلت من العمل والتطبيق ضل صاحبها وأوردته الموارد، قال تعالى: ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ ﴾[1]

ولا شك أن المسلم العاقل يربأ بنفسه من أن يكون مع الذين ينسون في الآخرة ولهم في الدنيا معيشة الضنك والهم والقلق ـ أعاذنا الله وإياكم من ذلك ـ فلنحافظ على كتاب الله تعالى قراءة وتدبراً وحفظاً وفهماً قبل فوات الأوان، فهو كلام الله العظيم، وصراطه المستقيم، وشرعه الحكيم، ورسالته الخالدة، ومعجزته الدائمة، ورحمته الواسعة، ونعمته السابغة، وهو نور الأبصار والبصائر، ولا نجاة بغيره، إنه خاتم الكتب أنزل على خاتم الأنبياء ﷺ، وبه ختمت الأديان.

ولذلك يجب أن يبحث المسلم عن العوامل التي تزيد من تدبره وفهمه، ومنها ما ذكره ابن القيم رحمه الله بقوله: إذا أردت الانتفاع بالقرآن فاجمع قلبك عند تلاوته وسماعه، وألق سمعك، واحضر حضور من يخاطبه به من يتكلم به منه إليه فإنه خطاب منه لك على لسان رسوله ﷺ يقول تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ ﴾[2] اهـ كلام ابن القيم.

---

(١) طه (١٢٣ ـ ١٢٦) .

(٢) ق (٣٧).

وممـــا يعـــين عـــلى تلاوته وتدبره والخشوع عندها حضور القلب، وأن يستحضر المسلم حال القراءة: أن الله سبحانه وتعالى يخاطبه وحده بهذا القرآن، ومن ذلك ألا يستعجل القارئ ويسرع في القراءة، فقد ورد التحذير من ذلك، ومن المهم كذلك، والمفيد أيضاً، الوقوف عند آيات الوعد والوعيد، فيسأل الله مـــن فضـــله عند الوعد، ويستعيذ بالله عند الوعيد، ويقف عند الأوامر متأملاً ليمتثلها، والزواجر لينـــزجر عنها، والقصص ليتأمل فيها ويأخذ العبرة منها.

هـــذا هـــو القرآن الكريم بخيره وإفضاله ونفحاته، وهذا هو شهر رمضان بأفضاله وخيراته، وها هي كرائم المولى جل وعلا تترى ونعمه لا تحصى، ها هو شـــهر رمضان لا يزال يظلنا بخيره وبالقرآن الذي أنزل فيه بصيامه وقيامه، فهل نتدارك تقصيرنا في تلاوة القرآن، فقارىء القرآن يعرف بليله إذا الناس ينامون، وبـــنهاره إذا الـــناس يفطرون، وببكائه إذا الناس يضحكون، وبورعه إذا الناس يخلطـــون، وبصمته إذا الناس يخوضون، وبخشوعه إذا الناس يختالون، وبحزنه إذا الناس يفرحون، كما ورد عن ابن مسعود ﷺ في معرفة قارئ القرآن، فالله الله في اســـتغلال أيام هذا الشهر المبارك، فاقتدوا برسول الله ﷺ، وأكثروا من قراءة القرآن يكثر أجركم، وتزداد حسناتكم، وتكفر سيئاتكم، ويرضى عنكم ربكم، وتفـــوزوا بجنة مولاكم، أسأل الله أن يبلغني وإياكم ذلك إنه سميع مجيب قريب، وهو المستعان.

هدي الرسول ﷺ في قيام الليل (١)

إن قيام الليل من أفضل الأعمال وأعظم القربات، يرفع الله به الدرجات، ويكفر به الخطايا، ويعفو الذنوب، ويعفو السيئات، ولقد داوم عليه الرسول ﷺ منذ بعثه الله تعالى بالنبوة وأمره بالرسالة، وجاءت الآيات المتواليات بالحث عليه والأمر به وبيان فضله، وما أعد الله تعالى لأهله من الفضل العميم، والثواب الجزيل، والأجر الجميل، حرص عليه النبي ﷺ ورغب فيه، وبين عظم جزاء أهله، ويتأكد فضله في رمضان أكثر من غيره، روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: كان رسول الله ﷺ يرغب في قيام رمضان من غير أن يأمرهم بعزيمة، فيقول: (**من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه**)[1].

وصلاة التراويح من قيام رمضان، وهي سنة مؤكدة، أكد ذلك النبي ﷺ، حيث روى الشيخان عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ صلّى في المسجد، فصلى بصلاته ناس، ثم صلى الثانية فكثر الناس، ثم اجتمعوا من الليلة الثالثة أو الرابعة فلم يخرج إليهم رسول الله ﷺ، فلما أصبح قال: (**رأيت الذي صنعتم، فلم يمنعني من الخروج إليكم إلا أني خشيت أن تفرض عليكم**)[2] تقول عائشة رضي الله عنها: وذلك في رمضان.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٧) ومسلم (٧٥٩).

(٢) أخرجه البخاري (١١٢٩) ومسلم (٧٦١).

ولكـــن الصـــحابة رضي الله عنهم صلوها بعده جماعة، يقول الإمام أحمد رحمه الله: كان علي وجابر وعبد الله رضي الله عنهم يصلون جماعة، وعن عبد الـــرحمن بن القارىء قال: خرجت مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه والناس يصلون جماعة، وعن عبد الرحمن بن القارىء قال: خرجت مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه في رمضـــان إلى المسجد فإذا الناس أوزاع متفرقون، ويصلي الرجل لنفسه، ويصـــلي الرجل فيصلي بصلاته الرهط، فقال عمر: إني أرى لو جمعت هؤلاء على قارىء واحد لكان أمثل. ثم عزم فجمعهم على أبي بن كعب، ولو صلاها مـــنفرداً فلا بأس بذلك، قال بعض أهل العلم: إن كان قارئاً للقرآن، ولا تتأثر الجماعة بتخلفه، ولا يخاف الكسل عنها، فالأفضل لمثل هذا أن يصليها منفرداً، ولكـــن في مثل هذا الوقت ينبغي أن يواظب عليها كل مسلم جماعة لما في ذلك مـــن إحياء هذه الشعيرة، والغالب على الإنسان إذا كان منفرداً أن يتطرق إليه الكسل والخمول والفتور.

أمـــا عدد ركعاتها: فتكلم أهل العلم في ذلك كثيراً، بناء على ما ورد عن رســـول ﷺ في صـــلاته بالليل، وما ورد عن السلف في ذلك: **فمن قائل**: إنها إحدى وأربعون، **ومن قائل**: إنها إحدى عشرة ركعة. ولعل هذا القول أرجحها لما جاء في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أنها سئلت: كيف كانت صلاة الـــنبي ﷺ في رمضـــان؟ فقالت: « ما كان يزيد في رمضان ولا في غيره على إحدى عشرة ركعة » [1].

ولكـــن إن صلى المسلم أكثر من ذلك ففضل الله واسع، وجوده عظيم، وعطاؤه لا ينفد.

---

(١) أخرجه البخاري (١١٦٣) والترمذي (٤٣٨).

إن لقيام الليل فضلاً عظيماً وثواباً جزيلاً، جاء بيان ذلك في كثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، قال تعالى في مدح أهل قيام الليل وما أعد لهم من النعيم المقيم: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ (١)

وقال تعالى في وصفهم: ﴿ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ (٢)

وقال سبحانه: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ ﴾ (٣)

وفي الأمر بقيام الليل يقول سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ ﴾ (٤)

ويقول سبحانه: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ ﴾ (٥)

وفي الثناء عليهم يقول سبحانه: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾ (٦)

---

(١) السجدة (١٦ ــ ١٧) .

(٢) الذاريات (١٧ ــ ١٨) .

(٣) الفرقان (٦٤).

(٤) المزمل (١ ــ ٤).

(٥) الإسراء (٧٩) .

(٦) الزمر (٩) .

وقال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ وَسَبِّحۡهُ لَيۡلًا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾ ﴾[1]

وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ : (**أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم، وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل**)[2]

وروى الشيخان وغيرهما عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ طرقه وفاطمة بنت رسول الله ليلة، فقال : (**ألا تصليان**)[3]

وأخرج البخاري عن أم سلمة رضي الله عنها أن النبي ﷺ استيقظ ليلة، فقال: (**سبحان الله ما أنزل الليلة من الفتن؟ ماذا أنزل من الخزائن؟ من يوقظ صواحب الحجرات؟ يا رُبَّ كاسية في الدنيا عارية في الآخرة**)[4]

وروى أحمد وغيره عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال: أول ما قدم الرسول ﷺ المدينة انجفل الناس إليه، فكنت فيمن جاءه، فلما تأملت وجهه عرفت أنّ وجهه ليس بوجه كذاب، وقال : فكان أول ما سمعت من كلامه، إلى أن قال : (**أيها الناس أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام**)[5]

وروى الطبراني والحاكم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: (**إن في الجنة غرفة يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها** ، فقال

---

(١) الإنسان (٢٦).

(٢) أخرجه مسلم (١١٦٣) والترمذي (٤٣٨).

(٣) أخرجه البخاري (١١٢٧) ومسلم (٧٧٥)

(٤) أخرجه البخاري (١١٢٦).

(٥) أخرجه الترمذي (٢٤٨٥)، وقال: هذا حديث صحيح.

أبـــو مالك الأشعري : لمن هي يا رسول الله ؟ قال : **لمن أطاب الكلام وأطعم الطعام وصلى بالليل والناس نيام)**(١)

وروى الشـــيخان عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (**أحب الصلاة إلى الله صلاة داود، وأحب الصيام إلى الله صيام داود، كان ينام نصف الليل، ويقوم ثلثه، وينام سدسه، ويصوم يوماً،ويفطر يوماً**)(٢)

وروى مسلم عن جابر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**إن في الليل ساعة لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله خيراً من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه، وذلك في كل ليلة**) (٣)

وروى مسلم عنه ﷺ أنه قال: (**إذا مضى شطر الليل أو ثلثاه ينـــزل الله إلى السماء الدنيا فيقول: هل من سائل فيعطى؟ هل من داع فيستجاب لـــه؟ هل من مستغفر فيغفر له؟ حتى ينفجر الصبح**)(٤)

هذا فضل قيام الليل وثمراته، فأين المتسابقون المتنافسون؟

أسأل الله عز وجل أن يجعلنا جميعاً من أهل قيام الليل، إنه سميع مجيب.

---

(١) أخرجه الترمذي (١٩٨٤، ٢٥٢٧) وقال في الموضعين: هذا حديث غريب.

(٢) أخرجه البخاري (١١٣١) ومسلم (١١٥٩).

(٣) أخرجه مسلم (٧٥٧).

(٤) أخرجه مسلم (٧٥٨/١٧٠).

هدي الرسول ﷺ في قيام الليل (٢)

إن قيام الليل عمل عظيم جليل، كما أنه دأب الأوابين التائبين، وميدان المتسابقين، ومجال أولي الهمم العالية الفائزين.

ولا شك أن قيام الليل صورة عملية وتطبيق واقعي لشكر الله تعالى، هاهي عائشة رضى الله عنها تبين ذلك فيما رواه الشيخان وغيرهما أن رسول الله ﷺ كان يقوم الليل حتى تتفطر قدماه، فتقول له: لم تصنع ذلك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فيقول لها عليه الصلاة والسلام: (**أفلا أكون عبداً شكوراً**)[١]

وهذا يدل دلالة قاطعة على أن الأعمال الصالحة بأنواعها: ــ فرائضها ونفلها ــ من شكر الله جل وعلا، فالشكر ليس في الحديث باللسان فحسب، وإنما هو اعتقاد بالقلب، وذلك بأن يسدي النعم إلى موليها سبحانه وتعالى، ثم يتحدث بها بلسانه، امتثالاً لقوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾[٢]، ثم العمل بالجوارح، وذلك باستعمال هذه النعم بطاعة الله جل وعلا.

وعليه فينبغي لكل مسلم أن يقتدي برسول الله ﷺ في هذا الأمر العظيم، فيواصل قيام الليل ولا يمل، فما العمر إلا أيام محدودة، وزمن معدود، ثم ينقضي.

---

(١) أخرجه البخاري (١١٣٠) ومسلم (٨١٩).

(٢) الضحى (١١).

كما أن لقيام الليل في رمضان وغيره فوائد عظيمة وثمار جليلة تعود على المسلم القائم في الدنيا والآخرة، ومن ذلكم:

زيادة الفضل الذي فيها على صلاة النهار، قال الحافظ ابن رجب رحمه الله: ركعة بالليل خير من عشر بالنهار، إنما فضلت صلاة الليل على النهار، لأنها أبلغ في الإسرار، وأقرب إلى الإخلاص، ولأن صلاة الليل أشق على النفوس، فإن الليل محل النوم والراحة، ولأن القراءة في صلاة الليل أقرب إلى التدبر، فإنه تنقطع الشواغل بالليل ويحضر القلب، ولأن وقت التهجد من الليل أفضل أوقات التطوع بالصلاة، وأقرب ما يكون العبد من ربه، وهو وقت فتح أبواب السماء، واستجابة الدعاء، واستعراض حوائج المسلمين، ووقت التنزل الإلهي [(١)] .اهـ بتصرف

۞ **ومن فوائد قيام الليل** : تكفير الخطايا، وغفران الذنوب، ومحو الزلات، وجبران التقصير .

۞ **ومن الفوائد أيضاً** : الاقتداء بالرسول ﷺ، وقد قال الله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ﴾ [(٢)]

۞ **ومن الفوائد أيضاً** : خلو القلب من مشاغله، فيصفو العبد في دعائه لربه ومناجاته له، وخلوته بنفسه عن مشاغل الدنيا وأحوالها.

۞ وذكر بعض أهل العلم: أن من فوائد قيام الليل : صحة الجسم، وأن المرء إذا قام من الليل تلألأ وجهه بهاءً ونوراً .

---

(١) لطائف المعارف لابن رجب ص(٣٦).

(٢) الأحزاب (٢١).

هذه جملة من ثمرات قيام الليل في العاجل والآجل، فعلى المسلم أن يجتهد غاية الاجتهاد في تحصيل شيء من الليل ليقومه، فيناجي ربه ويدعوه خوفاً وطمعاً، فيقتدي بمن سلف من الأمة، يرجو اللحاق بهم، ومما يعين على ذلك عمل **الأسباب المشروعة**، ومن ذلكم:

۞ قلة الأكل في الليل وعدم الإكثار منه، قال عون بن عبد الله: كان قيم لبني إسرائيل يقوم عليهم إذا أفطروا، فيقول: لا تأكلوا كثيراً، فإن أكلتم كثيراً نمتم كثيراً، وإن نمتم كثيراً صليتم قليلاً.

وقال وهب بن منبه : ليس من بني آدم أحب إلى شيطانه من الأكول النوام.

وقال سفيان الثوري: عليكم بقلة الأكل تملكوا قيام الليل.

۞ التوازن في العمل بالنهار، فلا يتعب الإنسان نفسه بالنهار في الأعمال، ومن ثم تضعف الأعصاب والجوارح، فإن ذلك يتطلب نوماً كثيراً ولا يستطيع القيام.

۞ ومن الأسباب المعينة على قيام الليل: الاستعانة بالقيلولة في النهار، فقد روى الطبراني وغيره عن أنس ﷺ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: (**قيلوا فإن الشياطين لا تقيل**)[1]

۞ من ذلكم ترك المعاصي والذنوب، فإنها مهلكة مانعة من الطاعات، مقسية للقلب، حاجبة عن الخير، قال رجل للحسن البصري: يا أبا سعيد إني

(١) أخرجه الطبراني في معجمه الأوسط (٢٨) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٤٤٣١).

أبيت معافى، وأحب قيام الليل، وأعد طهوري، فما بالي لا أقوم؟ فقال له الحسن: ذنوبك قيدتك.

وقال سفيان الثوري: حرمت قيام الليل خمسة أشهر بسبب ذنب أذنبته، قيل: وما هو؟ قال: رأيت رجلاً يبكي فقلت: هذا مُراءٍ.

۞ ومن الأسباب أيضاً: طيب المطعم، فإن له أثراً على الجسم، والله سبحانه طيب لا يقبل إلا طيباً.[١]

۞ ومن الأسباب أيضاً: ترك السهر بعد العشاء، فقد كان النبي ﷺ يكره النوم قبلها والحديث بعدها، ولا شك أن للسهر أثراً عظيماً في عدم القيام، إذ إن الإنسان بعد هذا السهر يكون بحاجة شديدة إلى راحة عميقة.

۞ ومن الأمور المعينة على قيام الليل: سلامة القلب من الحسد والحقد والبغض للمسلمين، وتنظيفه وتطهيره من جميع الأوساخ والأدران، وغرس المحبة والمودة والرحمة بهم.

۞ ومنها أيضاً: استشعار محبة الله تعالى وعظمته سبحانه وتعالى، فإن ذلك مشجع للنفس وحافز بأن تسلك السبيل الموصلة إليه سبحانه.

۞ ومن أعظم الأسباب وأكثرها نفعاً: كثرة الدعاء والمناجاة لله سبحانه بأن ييسر له سبل الطاعة، ومنها قيام الليل، فما استعان عبد على قضاء حاجته بمثل الدعاء، والله جل وعلا يقول: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّي فَإِنِّي

---

(١) أخرجه مسلم (١٠١٥).

قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى وَلْيُؤْمِنُواْ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ [1]

فينبغي على كل مسلم أن يحرص على هذه الأسباب، ويستعين بها بعد الله عز وجل على قيام الليل، وأسال الله تعالى أن يعيننا على ذلك، إنه سميع مجيب.

---

(١) البقرة (١٨٦) .

هدي الرسول ﷺ في الجود والإنفاق

إن الحديث عن سيرة رسول الله ﷺ في رمضان يحرك الأذهان، فيما يتمتع به رسول الله ﷺ في جميع أوقاته، وبخاصة شهر البركات والخيرات، وشهر الجود والرحمات، وشهر المواساة وتلبية الحاجات، من كرمه وجوده وإنفاقه وسخائه عليه الصلاة والسلام.

روى الشيخان عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال: كان رسول الله ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، فرسول الله ﷺ حين يلقاه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة [١] .

هكذا كان عليه الصلاة والسلام جواداً كريماً سخياً على الأقارب والمحتاجين والفقراء والأيتام وذوي الحاجات، ومن يحتاجون إلى مواساة، يصفه الإمام ابن القيم رحمه الله بقوله: كان رسول الله ﷺ أعظم الناس صدقة بما ملكت يداه، وكان لا يستكثر شيئاً أعطاه لله تعالى ولا يستقله، وكان لا يسأله أحد إلا أعطاه، قليلاً كان أو كثيراً، وكان عطاؤه عطاء من لا يخاف الفقر، وكان العطاء والصدقة أحب شيء إليه، وكان سروره وفرحه بما يعطيه أعظم من سرور الآخذ بما يأخذه، وكان أجود الناس بالخير، كالريح المرسلة، وكان إذا عرض له محتاج آثره على نفسه، تارة بطعامه وتارة بلباسه، وكان ينوع في

---

(١) أخرجه البخاري (١٩٠٢) ومسلم (٢٣٠٨).

أصناف عطائه وصدقته، فتارة بالهبة، وتارة بالصدقة، وتارة بالهدية، وتارة بشراء الشيء، ثم يعطي البائع الثمن والسلعة جميعاً..، وكانت صدقته وإحسانه بما يملكه وبماله وبقوله، فيُخرج ما عنده، ويأمر بالصدقة ويحض عليها، ويدعو إليها بحاله وقوله، فإذا رآه البخيل والشحيح دعاه حاله إلى البذل والعطاء، وكان هديه ﷺ يدعو إلى الإحسان والصدقة والمعروف (١).

ثم قال رحمه الله: إذا فهمت ما تقدم من أخلاقه ﷺ فينبغي للأمة التأسي به ﷺ في السخاء، والتمسك بالاقتداء به، والإكثار من ذلك في شهر رمضان لحاجة الناس فيه إلى مصالحهم، ولتشاغل الكثير منهم بالصوم والصلاة عن مكاسبهم، ولشرف الزمان ومضاعفة أجر العامل، وإدامة الصائمين والقائمين والمتعبدين على طاعتهم، فيكتب له مثل أجورهم.(٢) اهـ

هذا هو هدي رسول الله ﷺ مع الجود والكرم في رمضان، وقد جاء فضل الإنفاق في سبيل الله في آيات كثيرة، وأحاديث نبوية شريفة، ومن ذلك ما يلي:

قال تعالى: ﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٠﴾ ﴾ (٣)

وقال سبحانه: ﴿ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾ (٤)

---

(١) زاد المعاد (٢/٢٢ـ٢٣) بتصرف يسير.

(٢) المرجع السابق.

(٣) البقرة (١١٠).

(٤) سبأ (٣٩).

وقال سبحانه في بيان أجر المنفقين وسعة أجورهم وثوابهم ومضاعفتها: ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ ﴾[1]

ويقول عز وجل: ﴿ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾[2]

إن الإنفاق والجود والكرم طهرة للنفس، وتزكية للقلوب، وأمان للأموال وتنمية لها، قال الله تعالى: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾[3]

كما إن في الإنفاق ستراً عن النار، ووقاية من عذاب جهنم، فقد روى الشيخان عنه ﷺ أنه قال: (**اتقوا النار ولو بشق تمرة**)[4]

وفي الإنفاق أيضاً تكفير للسيئات، ومحو للذنوب والخطيئات، روى الترمذي وغيره أن رسول الله ﷺ قال: (**والصدقة تطفيء الخطيئة كما يطفيء الماء النار**)[5]

وقال تعالى: ﴿ إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾ ﴾[6]

---

(١) البقرة (٢٦١).

(٢) آل عمران (١٣٤).

(٣) التوبة (١٠٣).

(٤) أخرجه البخاري (١٤١٧) ومسلم (١٠١٦) اللفظ للبخاري.

(٥) أخرجه الترمذي (٦١٤) وقال: هذا حديث حسن غريب.

(٦) البقرة (٢٧١).

وبإنفاق الأموال في الوجوه المشروعة يسلم المنفق من عواقبها وشرها، روى الطبراني وغيره أن رسول الله ﷺ قال: (**من أدى زكاة ماله فقد ذهب عنه شره**)[1].

وينبغي على المنفق أن يتحرى بإنفاقه النية الصالحة، "فالأعمال بالنيات، وإنما لكل امرىء ما نوى" [2] وقال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ﴿٥﴾﴾ [3]

فعليه أن يتحرى الإخلاص والتجرد، فلا يبتغي بذلك رياء ولا سمعة، فإنها بذلك تكون عليه حسرة ووبالاً، وقد ذكر رسول الله ﷺ أن الذين يبتغون الرياء والسمعة وغيرها من المقاصد الدنيوية الفاسدة يعرضون أنفسهم لخطر عظيم، فقد جاء في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**أول الناس يقضى يوم القيامة ثلاثة، وذكر منهم رجلاً وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال، فأتى به فعرّفه نعمه، قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك. قال: كذبت، ولكن فعلت ليقال: جواد** ــ أي سخي كريم ــ **فقد قيل. فسحب على وجهه ثم ألقي في النار**) [4].

---

(١) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦٦/٣): رواه الطبراني في الأوسط، وإسناده حسن، وإن كان في بعض رجاله كلام.

(٢) أخرجه البخاري (١) ومسلم (١٩٠٧).

(٣) البينة (٥) .

(٤) أخرجه مسلم (١٩٠٥) والترمذي (٢٣٨٢).

ومما يساعد على الإخلاص: الإسرار في إخراجها، فهو أبعد عن الرياء والسمعة، وأدعى للتجرد، وأبعد عن ذل الفقير، فقد ورد أن من السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: (**رجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه**)[١]

وعلى المنفق أن ينفق من خيار ماله وأجوده وأحبه إليه وما كان حلالاً؛ فإن الله سبحانه وتعالى طيب لا يقبل إلا طيباً[٢]. يقول سبحانه وتعالى: ﴿ لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ﴿٩٢﴾ ﴾[٣]

وعليه أيضاً أن يحذر من المن والأذى، ذلك أن الإنسان إذا رأى نفسه محسناً إلى الفقير، منعماً عليه بالإعطاء، ربما حصل منه ذلك، ولكنه لو حقق النظر لرأى أن الفقير محسن بقبول حق الله الذي هو طهرة له، والله تعالى يقول: ﴿ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦٤﴾ ﴾[٤]

أسأل الله تعالى أن يرزقنا الإخلاص في الأقوال والأعمال، واتباع سيرة سيد الأبرار، إنه سميع مجيب، وهو المستعان.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٦٠) ومسلم (١٠٣١).

(٢) أخرجه مسلم (١٠١٥).

(٣) آل عمران (٩٢) .

(٤) البقرة (٢٦٤).

الرسول ﷺ والعشر الأواخر

إن نعم الله سبحانه وتعالى في هذا الشهر المبارك لا تعد ولا تحصى، ولازالت تتوالى علينا وترى، دخل رمضان بما فيه من الخيرات العميمة والنفحات الكريمة، وفرح به المؤمنون حقاً، والعارفون به صدقاً؛ لما يهلمون من كرم المولى جل وعلا، وما يضفيه على عباده بالفضل والكرم، حيث خص العشر الأواخر من رمضان بالمزيد من فضله وإنعامه.

وفيما يلي نقف بعض الوقفات مع سيرته عليه الصلاة والسلام في هذه العشر المباركة:

الوقفة الأولى:

روى مسلم في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ: (كان يجتهد في العشر الأواخر ما لا يجتهد في غيره)[1]، وجاء في المسند أنها رضي الله عنها قالت: (كان النبي ﷺ يخلط العشرين بصلاة ونوم، فإذا كان العشر شد المئزر) [2].

(١) رواه مسلم (٢/٨٣٢) برقم (١١٧٥) في الاعتكاف باب الاجتهاد في العشر الأواخر، وابن ماجه (١/٥٦٢) برقم (١٧٦٧) في الصيام، باب في فضل العشر الأواخر.

(٢) رواه أحمد في المسند (٦/٦٨).

وفي الصحيحن عنها رضي الله عنها: (كان النبي ﷺ إذا دخل العشر شد مئزره، وأحيا ليله، وأيقظ أهله)[١] .

هـذه النصوص الكريمة التي توضح السيرة العطرة لنبينا محمد ﷺ في هذه الأيام، ترسم لأمته منهجاً يترسمونه، ويحتذون حذوه، في حياتهم كلها.

فرسول الله ﷺ يجتهد في هذه العشر، وهذه كلمة بليغة، فالاجتهاد: بذل الجهد والطاقة، فهو صلوات الله وسلامه عليه يبذل جهده وطاقته في هذه العشر المباركة أكثر من غيره، يجتهد في أنواع العبادات كلها من صلاة وذكر وقراءة وصدقة وبر وإحسان.

ولكونه ﷺ بذل وسعه وطاقته؛ ظهرت علامات هذا البذل، تلكم هي شد مئزره، الذي هو كناية عن اعتزاله للنساء، ليتفرغ لتلك العبادات الجليلة.

ومن منهجه صلوات الله وسلامه عليه في هذه العشر: إحياء ليله، فجعل استيقاظه وعمله الطاعات المختلفة في هذه الليالي المباركة بمنزلة الحياة، ولا شك أن حياة القلوب وطراوتها بالذكر والقراءة والصلاة والإحسان إلى الخلق، وكل ذلك مقرب للخالق سبحانه وتعالى، ثم إن هذا الإحياء معين للمؤمن أن يجعل هذا منهاجاً يسير عليه في حياته كلها، ليحيي جزءاً من ليله في مناجاة خالقه، ودعائه، والاستعانة به، والالتجاء إليه.

---

(١) رواه البخاري (٢٦٩/٤) برقم (٢٠٢٤) في فضل ليلة القدر، باب العمل في العشر الأواخر من رمضان، ومسلم (٨٣٢/٢) برقم (١١٧٤) في الاعتكاف، باب الاجتهاد في العشر الأواخر من رمضان.

ولا شك أن سكون الليل، والابتعاد عن مشاغل الدنيا، والتفرغ من أعباء الحياة، كل هذا مما يهيئ النفس للمناجاة والاستغفار والصلاة، ويجعلها أكثر قرباً من مولاها جل وعلا.

ومن منهاجه صلوات الله وسلامه عليه: أن يوقظ أهله ليشاركوه في هذه الأعمال الجليلة، ليأخذوا حظهم من الأجر والثواب، وليطمعوا في رضوان الله سبحانه وتعالى، ونيل محبته.

وفي هذا التعاون الجليل ما يحس المسلم معه بمسؤوليته الكبيرة تجاه أهله، فلا يجعلهم غرقى في النوم في هذه الليالي الفاضلات المعدودات، ولاشك أن من الخير أن يتخذ المسلم هذا المنهاج، ليقوم بجزء من الأمانة المحمَّل إياها تجاه أهله وأولاده.

وهذا ــ أعني إيقاظ الأهل والأولاد وحثهم على القيام والدعاء ــ معين ــ بعد عون الله تعالى ــ لصلاحهم واستقامتهم، بل عساه أن يكون منهاجاً يحتذونه في أيامهم المقبلة، فيتبادرون إلى إحياء لياليهم، إذ إن من ذاق حلاوة الإيمان اشتاق للازدياد، ولا أعظم من لذة المناجاة مع خالق الأرض والسماوات، المطلع على جميع الأحوال.

ومع هذا المنهج النبوي المبارك الذي يوجه به ﷺ أمته للاقتداء به؛ نجده يحث من جانب آخر على هذا التعاون الإيماني، روى أبو داود وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: (**رحم الله رجلاً قام من**

الليـــل فصلى وأيقظ امرأته، فإن أبت نضح في وجهها الماء، ورحم الله امرأة قامت من الليل فصلت وأيقظت زوجها، فإن أبى نضحت في وجهه الماء)[1] .

فلـــنا في رسول الله ﷺ أسوة، وفي أعماله قدوة، لنترسم خطاه، ونحتذي حذوه، فهو رسول الله ﷺ، الذي غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، ومع ذلك يجـــتهد هذا الاجتهاد العظيم، فحري بك أخي المسلم ــ وأنت تطرق أبواب هذه العشر المباركة ــ أن تعقد النية وتجدد العزم على ترسم خطاه صلوات الله وسلامه عليه في هذه العشر، وفي كل أيامك، حقق الله لي ولك رجاءنا.

---

(١) رواه أحمد (٢/٢٥٠ ــ ٤٣٦) ، وأبو داود برقم (١٣٠٨) في الصلاة، باب قيام الليل، والنسائي (٣/٢٠٥) في قيام الليل، باب الترغيب في قيام الليل، وابن ماجه (١٣٣٦) في إقامة الصلاة، باب فيمن أيقظ أهله بالليل.

هدي النبي ﷺ في السفر

لم يكن هناك على مر تاريخ البشرية سيرة إنسان أكمل ولا أشمل ولا أحسن ولا أفضل من سيرة سيد البشر، الشافع المشفع في المحشر ﷺ، فسيرته هي السيرة العطرة، وقدوته هي القدوة الطيبة، ومثاله هو المثال الصادق، أينما بحثت في هذه السيرة وجدت بغيتك ومطلبك، وهانحن ننقب عن هديه ﷺ في حالة خاصة قد يتعرض لها الصائم في رمضان، ذلكم هديه ومنهاجه في السفر: هل كان يصوم أو يفطر؟ وهل كان يواظب على حال معينة؟

أما هديه ومنهاجه في الصيام في السفر، فيتبين لنا من خلال النظر في هذه الأحاديث:

روى البخاري ومسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كنا نسافر مع رسول الله ﷺ فلم يعب الصائم على المفطر، ولا المفطر على الصائم[1].

وروى البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها أن حمزة بن عمرو الأسلمي قال للنبي ﷺ: أأصوم في السفر؟ وكان كثير الصيام. قال: (**إن شئت فصم، وإن شئت فأفطر**)[2]

(١) أخرجه البخاري (١٩٤٧) ومسلم (١١١٨).

(٢)أخرجه البخاري (١٩٤٣) ومسلم (١١٢١).

وعـــن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في شهر رمضان في حر شديد، حتى إن كان أحدنا ليضع يده على رأسه من شدة الحر، وما فينا صائم إلا رسول الله ﷺ وعبد الله بن رواحة[١].

وروى البخاري ومسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: (كان رســـول الله ﷺ في ســـفر فرأى زحاماً ورجلاً قد ظلل، فقال: **ما هذا**؟ قالوا: صـــائم. قـــال: **ليس من البر الصيام في السفر)**[٢] وفي لفظ لمسلم: (**عليكم برخصة الله التي رخص لكم)**[٣]

فهـــذه نصوص نبوية كريمة تدل على هدي الرسول ﷺ في الصوم والفطر في الســـفر، فحديث عائشة رضي الله عنها في سؤال حمزة بن عمرو الأسلمي لرســـول الله ﷺ يدل على التخيير بالنسبة للمسافر بين الصيام والفطر، فهو مخير بيـــنهما، كما دل حديث أنس ﷺ على واقع الحال لصحابة رسول الله ﷺ في إحدى سفراقم مع رسول الله ﷺ بأن منهم الصائم ومنهم المفطر، و لم يعب كل منهما على الآخر، ودل حديث أبي الدرداء ﷺ أن رسول الله ﷺ وعبد الله بن رواحـــة ﷺ كانـــا يصومان في السفر في شدة الحر، وهذا لمن يقدر على تحمل المشـــقة، أمـــا حديث جابر ﷺ فنفى فيه الرسول ﷺ البر عمّن صام في السفر ولحقته مشقة وخدمه الآخرون، ووجه عليه الصلاة والسلام إلى الأخذ بالرخص في مثل هذه الأحوال.

---

(١) أخرجه البخاري (١٩٤٥) ومسلم (١١٢٢).

(٢) أخرجه البخاري (١٩٤٦) ومسلم (١١١٥).

(٣) أخرجه مسلم (١١١٥).

لهـــذه الأحاديـــث والأحوال وغيرها وقع خلاف بين أهل العلم في حكم صـــوم رمضـــان في السفر، فذهب جمع من السلف رحمهم الله تعالى ـــ منهم أبـــو هريـــرة وعبد الرحمن بن عوف وابن عمر رضي الله عنهم ـــ إلى وجوب الفطر في حالتي المرض والسفر، لقوله تعالى: ﴿ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ [١]

ووجـــه الدلالـــة من هذه الآية أن الله تعالى لم يفرض الصوم إلا على من شـــهده وفرض على المريض والمسافر الصوم في أيام أخر، كما استدلوا بحديث جابـــر رضي الله عنه الـــذي قال فيه الرسول ﷺ: (**ليس من البر الصيام في السفر**)[٢] واســـتدلوا أيضـــاً بما رواه مسلم رحمه الله عن جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ خرج عام الفـــتح في رمضان، فصام حتى بلغ كراع الغميم فصام الناس، ثم دعا بقدح من ماء، فرفعه حتى نظر الناس إليه، ثم شرب فقيل لـــه بعد ذلك: إن بعض الناس قـــد صام، فقال: (**أولئك العصاة، أولئك العصاة**)[٣] فسماهم النبي ﷺ عصاة، **لكـــن جمهور أهل العلم ذهبوا** إلى جواز الصيام والفطر، واستدلوا بالأحاديث الـــتي سبق ذكرها آنفاً، ومنها قوله ﷺ: (**إن شئت فصم وإن شئت فأفطر**)[٤] وقـــول أنس رضي الله عنه: كنا نسافر مع رسول الله ﷺ فلم يعب الصائم على المفطر، ولا المفطر على الصائم، وغيرها مما يدل على التخيير في ذلك.

---

(١) البقرة (١٨٥).

(٢) أخرجه البخاري (١٩٤٦) ومسلم (١١١٥)

(٣) أخرجه مسلم (١١١٤).

(٤) أخرجه البخاري (١٩٤٣) ومسلم (١١٢١).

أما الحديث الذي فيه وصف الصائمين بالعصاة؛ فهي واقعة عين على أناس شق عليهم الصيام، وعلى من كان مثلهم، وكذا قوله ﷺ: (**ليس من البر الصيام في السفر**) وبهذا تبين أن رأي جمهور العلم هو الموافق لمجموع النصوص، ولكن الجمهور اختلفوا في أفضلية الصيام أو الفطر بالنسبة للمسافر، فذهب الأئمة الثلاثة: أبو حنيفة ومالك والشافعي رحمهم الله إلى أن الصوم أفضل لمن لم يلحقه مشقة به، وذهب الإمام أحمد رحمه الله إلى أن الفطر أفضل مطلقاً بحديث: (**ليس من البر الصيام في السفر**)[1] وبحديث: (**إن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يكره أن تؤتى معاصيه**)[2].

واستدل الجمهور بالجمع بين الأحاديث فعلقوا الأمر على المشقة، واستأنسوا بما رواه أحمد وغيره أن النبي ﷺ قال: (**من كانت له حمولة فيأوي إلى شبع فليصم رمضان حيث أدركه**)[3] والحمولة: الأحمال التي يسافر بها صاحبها، ورأي الجمهور هو الذي يرجحه كثير من العلماء المعاصرين وفقهم الله تعالى لما يحبه ويرضاه.

هذا هو هدي رسول الله ﷺ في السفر: يصوم مرة ويفطر أخرى، وذلك بحسب حال السفر وحال أصحابه، فعلى المسلم أن يقتدي به، فإن وجد نشاطاً في نفسه وقوة على الصيام، ولم يلحقه مشقة ولا ضرر ولا كسل عن أداء الواجب، فلعل الموافق للسنة في حقه الصيام، ومن وجد غير ذلك، كأن تصيبه مشقة أو يكسل عن بعض الواجبات أو يصيبه ويصيب رفقته ضرر ونحو ذلك،

---

(١) أخرجه البخاري (١٩٤٦) ومسلم (١١١٥).

(٢) أخرجه أحمد (١٠٨/٢) والطبراني في معجمه الكبير (١١٨٨٠، ١١٨٨١) وابن حبان كما في الموارد (٥٤٥) وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٨٨٥، ١٨٨٦).

(٣) أخرجه أحمد (٤٧٦/٣)، (٧/٥).

فلعل الموافق للسنة في حقه الفطر، وهكذا بإذن الله تجتمع النصوص الواردة عن النبي ﷺ في صيامه وفطره في السفر.

أسأل الله عز وجل أن يرزقنا النية الخالصة وتطبيق السنة تطبيقاً عملياً صحيحاً، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وهو المستعان.

هدي الرسول ﷺ في بيته

لا ريب أن الرسول ﷺ قدوة في جميع الأحوال والظروف، وفي مختلف الأزمنة والأمكنة، والمسلم العامل الحصيف هو الذي يتوخى منهاجه عليه الصلاة والسلام فيسير عليه، ومن ذلكم أحواله ﷺ في بيته، بين أهله وذريته، كيف كان يعاملهم؟ وكيف أدى رسالة الله تعالى لهم؟ وكيف يعالج المشكلات الطارئة؟ أهو غضوب يزجر؟ أم متساهل مضيع؟ أو يهتم بجوانب دون أخرى؟

ومما لا ريب فيه أيضاً أن بيت المسلم نعمة عظيمة، لا يعرف أهميتها ولا يقدر قدرها إلا من حرمها، فالبيت سكن الإنسان، إليه يأوي ويستريح، وبه يستدفئ من القر، ويستظل من الحر، وبه يستتر عن الأنظار، ويتحصن عن الأعداء، كما أن البيت هو ذلك المجتمع المصغر الذي تلتقي فيه عناصر الأسرة من الأب والأم والزوج والزوجة والأبناء والبنات، تتعانق فيه النفوس، وتجتمع على المودة والرحمة والحصانة والطهر وكريم العيش والستر، في كنفه تنشأ الطفولة، ويترعرع الأحداث، وترتبط النفوس بالنفوس، وتتعانق القلوب والأرواح، به تنمو الخصال الكريمة، وينشأ الرجال الذين يقودون الأمة، ويربى النساء اللاتي يُؤْتَمنّ على أعرق الأصول، في البيت تنشأ ناشئة صالحة، يكون من ثمراها صلاح الأبناء، وبر الأمهات والآباء، فالبيت مدرسة تنمو فيها الأجيال، ويتخرج فيها العلماء والأبطال.

لهذا البيت منهاج قويم وهدي كريم، رسمه النبي الأمين في فعله وقوله، وفي تعامله وسلوكه، وفي عيشه وتنشئته، وفي تربية أهله وصغاره، صلوات الله وسلامه عليه.

ويتسم هذا الهدي النبوي بالشمول والكمال، والرأفة والرحمة والحب والمودة والصلة والقربى، والتنشئة والتربية والحلم والعلم، والعفو والصفح والصبر والتحمل، والشعور بالمسؤولية والأمانة.

ولنضرب لذلك أمثلة في تعامله مع أهله وصغاره الذين في بيته عليه الصلاة والسلام؛ **المثال الأول:** في تعامله ﷺ مع أهله، ينطلق هذا التعامل الكريم من منطلق القيام بأفضل الوسائل وأعلى الدرجات، هاهو عليه الصلاة والسلام يقول: (**خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي**)[1] وهذه الخيرية عامة في كل شيء يقتضيها الخير والرحمة والمصلحة، وميزان هذه الخيرية هو مراد الشارع وتعاليمه وتوجيهاته، وليس هوى الناس ورغباهم وأمزجتهم، ولا تعني هذه الخيرية مبدأ ترك القوامة والتخلي عن المسؤولية وإعطاء الأهل غاية ما يشتهون ولو كانت أموراً محرمة أو مكروهة، فهذه ليست من الخيرية في شيء، فهذا رسول الله ﷺ القائل لتلك العبارة ،هاهو نفسه عليه الصلاة والسلام يهجر زوجاته شهراً كاملاً عندما تقدمن بطلب لم يرض عنه، وذلك أهن اجتمعن عليه يطلبن زيادة في النفقة، حتى أشيع بأن الرسول ﷺ قد طلق زوجاته، فلما علم أبو بكر رضي الله عنه أتى عائشة ليستوثق الخبر ويريد تأديبها، وكذا فعل عمر رضي الله عنه مع حفصة، فأنزل الله سبحانه وتعالى تخيير الزوجات بين الدنيا وملذاها أو

(١) أخرجه الترمذي (٣٨٩٥) وابن ماجه (١٩٧٧) وقال الترمذي: حسن غريب صحيح وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٣١٤).

الآخــرة ونعيمها، بقوله سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ ﴾[1]

فعــلم أن الخيريــة تربية الزوجة على كل خلق مستقيم، وسلوك فاضل، وتفكير سليم.

ومــن سماته عليه الصلاة والسلام في بيته حرصه على تعليمهم وتربيتهم وتقويم سلوكهم، وقد بوب البخاري رحمه الله في صحيحه تحت كتاب العلم: باب تعليم الرجل أهله وأمته.

ومن سماته عليه الصلاة والسلام الهدوء والاستقرار النفسي والحلم والعفو والصــفح عند وقوع مشكلات طارئة تخالف منهجه، فيعمد إلى لمعالجة الهادئة، حتى لا تكبر المشكلة أو تمتد أو تتفرع، فيفرح الشيطان ويفرخ، ومن ذلك أن رسول الله ﷺ كان في بيت عائشة رضي الله عنها، فأرسلت إليه إحدى زوجاته طعامــاً في صحفة، فلما رأت عائشة الطعام غضبت وثارت، وضربت الصحفة فانكســرت وتناثر الطعام، فماذا فعل رسول الله ﷺ أمام هذا الحدث؟ وكيف عــالج هــذه الغيرة الجبلية التي في طبع النساء؟ بكل هدوء وسكينة جمع الطعام المتناثر وأخذ صحفة عائشة وأرسلها إلى تلك الزوجة صاحبة الطعام وقال: (**إناء بإنــاء**)[2] ولكــن هذا الحلم ينقلب إلى تغير وغضب إذا انتهكت حرمات الله، ومن ذلك ما حدث من عائشة رضي الله عنها، عندما وصفت إحدى زوجاته

(١) الأحزاب (٢٨ ــ ٢٩) .

(٢) أخرجه البخاري (٢٤٨١، ٥٢٢٥).

عليه الصلاة والسلام بأنها قصيرة، فقال لها: (**لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لغيرته أو لمزجته**)[١] فذلك الهدوء النفسي انقلب إلى تأثر وغضب وانفعال، لما كان هذا الأمر يغضب الله عز وجل.

والمثال الثاني: تعامله مع الصغار، فهو تعامل العطف والشفقة والرأفة والحلم والتعليم والتربية، وغرس المعاني الخيرة والصفات الحميدة في نفوسهم، واستغلال الفرص لذلك، ومن ذلك أن تناول عمر بن أبي سلمة الطعام مع رسول الله ﷺ فكانت يد عمرِ بن أبي سلمة تطيش في الصحفة هنا وهناك ويميناً وشمالاً فقال له رسول الله ﷺ: (**يا غلام سم الله، وكل بيمينك، وكل مما يليك**)[٢] فهذا الطفل الصغير ابن زوجته، ربيب رسول الله ﷺ يأكل معه، ووجد منه هذا المسلك، فلم يعنف الصغير، ولم يغلظ عليه، بل استعمل معه الحكمة والرفق واللين والتوجيه والترشيد، ووجّه للآداب العالية المستقيمة.

ومن استغلاله ﷺ للفرص، أنه عندما كان راكباً حماراً، وكان ابن عمه عبد الله بن عباس رديفه، فطفق رسول الله ﷺ يوصيه بوصايا جامعة، فيها هدي للأمة كلها، ومن ذلك أيضاً تعامله مع خدمه بالرفق واللين، يقول أنس ﷺ: خدمت النبي عليه الصلاة والسلام عشر سنين فما قال لي: أُف قط، وما قال لشيء صنعته: لم صنعته؟ ولا لشيء تركته: لم تركته؟ [٣] وكان رسول الله ﷺ من أحسن الناس خلقاً[٤].

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٥٠٢) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥١٤٠).

(٢) أخرجه البخاري (٥٣٧٦) ومسلم (٢٠٢٢).

(٣) أخرجه البخاري (٦٠٣٨) ومسلم (٢٣٠٩).

(٤) أخرجه البخاري (٣٥٤٩) ومسلم (٢٣٣٧).

فحريٌّ بالآباء والأمهات، والمربين والمربيات، أن يستغلوا أوقاتهم جميعها في تربية أولادهم، وتنشئتهم على هدي رسول الله ﷺ، فهو القدوة والأسوة الحسنة، رزقني الله وإياكم حسن الاقتداء به، والاهتداء بهديه، إنه سميع مجيب، وهو المستعان.

هديه ﷺ في غزوة بدر

إن حياة النبي ﷺ في رمضان حياة حافلة بالأحداث الجسام، والمواقف العظام، تحيي في نفوس المؤمنين القوة والعزة، وتقوي فيهم العزم والإرادة، نحو الطاعات والقربات، وتبعث في نفوسهم النشاط وحب الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن تلكم الأحداث الكبيرة والمليئة بالعبر والدروس الجليلة أول غزوة مشهورة غزاها عليه الصلاة والسلام، فكانت فرقاناً بين الحق والباطل، وفاصلاً بين المؤمنين والكافرين، أعز الله فيها جنده، ونصر عبده وهزم الكفر وأهله، تلكم هي غزوة بدر الكبرى، هذه الغزوة التي وقعت في السابع عشر من شهر رمضان المبارك، في السنة الثانية للهجرة، وذلك أن النبي ﷺ بلغه أن أبا سفيان توجه من الشام إلى مكة بعير قريش، فدعا أصحابه إلى الخروج إليه لأخذ العير، لأن قريشاً حرب لرسول الله ﷺ وأصحابه، ليس بينهم وبينه عهد، وقد أخرجوهم من ديارهم وأموالهم، وقاموا ضد دعوهم دعوة الحق، فكانوا مستحقين لما أراد النبي ﷺ وأصحابه بعيرهم، فخرج النبي ﷺ وأصحابه في ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً، على فرسين وسبعين بعيراً، يتعقبونها، منهم سبعون رجلاً من المهاجرين والباقون من الأنصار، يقصدون العير لا يريدون الحرب، ولكن الله جمع بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد، ليقضي الله أمراً كان مفعولاً، ويتم ما أراد.

ولما علم بهم أبو سفيان، بعث صارخاً إلى قريش يستنجدهم ليحموا عيرهم، وترك الطريق المعتادة، وسلك ساحل البحر فنجا، أما قريش فإنهم لما

جـــاء الصارخ خرجوا بأشرافهم عن بكرة أبيهم في نحو ألف رجل، معهم مائة فرس وسبعمائة بعير، بطراً ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله، والله بما يعملون محــيط، ومعهم القيان يغنين بهجاء المسلمين، ولما تهيؤا أرسل إليهم أبو سفيان يخـــبرهم أنه نجا، ولكن بكبرهم وطغيانهم قال قائلهم أبو جهل: والله لا نرجع حـــتى نبلغ بدراً ونقيم فيه ثلاثاً، ننحر الجزور، ونطعم الطعام، ونسقي الخمر، وتسمع بنا العرب، فلا يزالون يهابوننا أبداً.

أمـــا رسول الله ﷺ؛ فإنه لما علم بخروج قريش، جمع أصحابه ومستشاريه من المهاجرين والأنصار يستشيرهم، فقال: (**إن الله وعدني إحدى الطائفتين: إما العير وإما الجيش**)(١) فقام المقداد بن الأسود ﷺ وكان من المهاجرين فقال: يا رسول الله امضِ لما أمرك الله عز وجل، فوالله لا نقول كما قالت بنو إسرائيل: اذهـــب أنـــت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون، ولكن نقاتل عن يمينك وعن شمالك ومن بين يديك ومن خلفك، وقام سعد بن معاذ ﷺ سيد الأوس، وقال نحـــواً من مقالة المقداد، فسر النبي ﷺ بذلك(٢)، وقال: (**سيروا وأبشروا، فوالله لكأني أنظر إلى مصارع القوم**) فسار النبي ﷺ هو ومن معه، حتى نزل أدنى ماء من مياه بدر، فجاء الحباب بن المنذر وعمرو بن الجموح، فأشارا عليه بتغيير هذا المنـــزل، ثم استعدوا للقتال، وكان النبي ﷺ يمشي بين صفوفهم ويقول: (**كأني أرى مصارع القوم**)(٣) ثم أخذ عليه الصلاة والسلام يصلي في عريش بناه على تل، ويدعو الله عز وجل بالنصر وتحقيق الوعد حتى سقط رداؤه، وبدأت الحرب واشتدت المعركة، وأنزل الله جنوداً من جنده مع المؤمنين: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى

---

(١) انظر السيرة النبوية لابن هشام (٢/٢٨٨ـــ٢٩٥).

(٢) أخرجه قريباً منه البخاري (٣٩٥٢) (٤٦٠٩).

(٣) أخرجه مسلم بلفظ قريب (١٧٧٩)، وانظر سيرة ابن هشام (٢/٣٠٤).

ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٣﴾ ﴾ [1]

وكانت النتيجة أن نصر الله رسوله وعباده المؤمنين، وهزم المشركين وولوا الأدبــار، وتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون، حتى قتلوا سبعين رجلاً وأسروا سبعين، وكان من القتلى صناديد قريش، وألقوا في قليب من قلبان بدر، ومنهم أبــو جهل وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة وغيرهم، وهكذا نصر الله سبحانه عباده المؤمنين، فعلا شأن رسول الله ﷺ وأصحابه، واندحرت قريش وكبراؤها، ورجعوا خائبين خاسرين.

في هذه الغزوة العظيمة في هذا الشهر الطيب المبارك أعز الله جنده، ونصر عــبده، وعلا شأنه، ومكّن لدينه، وقويت شوكة رسوله عليه الصلاة والسلام. فالنصر ليس بالعدد والعدة، ولو قابلنا الفريقين في ذلك لكان الفرق بينهما بيناً، والبون بينهما شاسعاً، ولكن من ينصر الله ينصره ويثبت أقدامه، وهذه هي سنة الله تعــالى في خلقــه مــتى ما تمسكوا بدينهم، وحكموا شريعة ربهم، وتعلقوا بخالقهم، فالله جل وعلا ينصرهم ويعزهم، ويذل أعداءهم ويخذلهم ويهزمهم.

وهــناك درس آخــر عظيم وهو أن هذا الشهر الكريم ليس شهر كسل وخمــول وبطالة، بل هو شهر الجد والعمل والنشاط والقوة والاجتهاد في سبل الخــيرات، ذلكــم أن رسول الله ﷺ وأصحابه جدوا واجتهدوا في هذا الشهر المبارك، فنصرهم وأعزهم ومكّنهم وأعلى شأنهم، فهابهم أعداؤهم.

---

(١) الأنفال (١٢ ــ ١٣) .

ويوجـــد **درس ثالث** وهو بيان أهمية الاستشارة وإبداء الرأي في مصالح الأمة الكبار، ذلكم أن رسول الله ﷺ استشار أصحابه في هذه الغزوة، فأشاروا عليه بما يرونه سبباً للنصر والتمكين، فأخذ ﷺ بمشورتهم، فكان ذلك عوناً من الله تعـــالى على النصر، **ومنها يؤخذ أيضاً** أهمية فعل الأسباب التي تكون عوامل بإذن الله للنتائج والثمار الطيبة، فلا يعتد الإنسان برأيه في أموره الجسام، ومن ثم يقع في أخطار عظيمة وبلاء كبير.

ومن الدروس المستفادة أيضاً: أهمية الدعاء وفضله، وأنه من أهم أسباب النصر والعز والتمكين، وهذا بلا شك يؤخذ من فعل الرسول ﷺ، الذي جلس تلـــك اللـــيلة يدعو ربه ويستغيث به، حتى أشفق عليه الصديق أبو بكر ﷺ لما سقط رداؤه، فطفق أبو بكر يهون عليه ويخفف عنه.

فحـــري بـــنا نحن المسلمين أن نستعين بالدعاء، ونلح به على ربنا ليقضي حوائجنا، ولنحذر أن نغتر بجاهنا وقوتنا وأموالنا وما في أيدينا من وسائل مادية، فالعباد ضعاف مهازيل في جنب الله عز وجل، والله تعالى يقول: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ﴿١٨٦﴾ ﴾[١]

ويقول رسوله الأمين ﷺ: **(الدعاء هو العبادة)**[٢].

أســـأل الله عز وجل أن يجعل هذا الشهر المبارك شهر عز وتمكين للإسلام والمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، إنه سميع مجيب، وهو المستعان.

---

(١) البقرة (١٨٦).

(٢) أخـــرجه أحمـــد (٤/٢٧١) والبخاري في الأدب المفرد (٧١٤) وأبو داود (١٤٧٩) والترمذي (٣٢٤٧) والنسائي في سننه الكبرى (١١٤٦٤) وابن ماجه (٣٨٢٩) والحاكم في المستدرك (١/ ٤٩١) وقال الترمذي: حسن صحيح. وقال الحاكم: صحيح الإسناد و لم يخرجاه. ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٤٠٧).

هدي الرسول ﷺ في العمرة

لا ريب أن رمضان شهر الخيرات والبركات واغتنام الأعمال، فتكثر فيه الطاعات، والسنن المستحبات، ويتسابق الصالحون والموفقون في ميادين الخير والصلاح، مخلصين لله أعمالهم، حريصين على الاقتداء بهدي نبيهم محمد ﷺ، الذي وقفنا على مقتطفات من سيرته، أنعمنا بقراءتها وسماعها، ونسعى إلى تنفيذها في واقع حياتنا، ونستلهم العبر والدروس لاقتفائها والسير على منوالها.

ومن تلكم الأعمال الفاضلة، والتي يتسابق لها المتسابقون اقتداءً بنبيهم محمد ﷺ : العمرة إلى بيت الله الحرام، وخاصة في هذا الشهر الكريم، فالعمرة في رمضان لها مقام جليل، وفضائل كثيرة، وثواب جميل.

والعمرة: هي الإحرام من الميقات، وقصد مكة للطواف حول الكعبة، والسعي بين الصفا والمروة، والحلق أو التقصير.

هذه العمرة لها فضل عظيم وثواب جزيل، تكفر بها الذنوب، وترفع بها الدرجات، ويزداد فيها ذكر الله تعالى، فقد جاء في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: (**والعمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما**)(١). فإذا أدى المسلم هذه العبادة بإخلاص ورغب ورهب، يرجو ثواب الله ويخشى عقابه ويطلب رضاه، واستشعر معنى هذه العبادة لله تعالى، تحقق له ما يرجوه من الثواب العظيم.

(١) أخرجه البخاري (١٧٧٣) ومسلم (١٣٤٩).

وينبغي لمريد العمرة أن ينوي السفر إلى بيت الله الحرام لأداء العمرة خالصاً لله عز وجل، فيكون سفره هذا سفر طاعة وقربة، فيؤجر على نيته، وينتقي من ماله أجودَه وأطيبه ليصرفه في هذه الطاعة العظيمة، ويركب ما تيسر له من المراكب داعياً بدعاء السفر، فيحيطه الله بعنايته ورعايته، تاركاً أهله وماله وأحبابه ووطنه، فيزداد ثوابه، لتركه هذه الأمور لله، شاغلاً وقت سفره بالقراءة والذكر والتفكر والمحاسبة.

فإذا وصل إلى الميقات الذي يبدأ منه أعمال عمرته يتجرد من ملابسه المعتادة، ويغتسل ويتطيب ويزيل ما يجب إزالته من الشعر، ويلبس رداءين أبيضين نظيفين ـــ هذا للرجل ـــ. أما المرأة فتلبس ما شاءت من الثياب المباحة لها، غير أن لا تكون ثياب زينة، أو تشبه بالرجال، أو تظهر شيئاً من جسدها.

وفي هذا الموقف فرصة عظيمة للتأمل والمراجعة، فإذا تجرد المعتمر من ملابسه المعتادة واغتسل وارتدى الرداء الأبيض، استشعر المعتمر أنه قد خلع ذنوبه الماضية واغتسل منها، وظهر أمام ربه جل وعلا بمظهر طيب نظيف طاهر صفحته بيضاء نقية، فكأنه يقول: ها أنا يا رب قد جئتك طامعاً في مغفرة ذنوبي، راجعاً منها كيوم ولدتني أمي، والله سبحانه وتعالى أكرم الأكرمين وأجود الأجودين، فحريٌ أن يجيب سؤاله ويحقق آماله، فإذا لبس المعتمر لباس العمرة استشعر أنه بدأ حياة جديدة خالية من الذنوب، فإذا ركب المعتمر دابته ولبى بالعمرة ينوي بقلبه ويقول بلسانه: لبيك عمرة، لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك، بهذا يعلن المعتمر استجابته لله جل وعلا وتوحيده غير مشرك به، وأيقن أن الله تفضل عليه وأنعم عليه أن مكنه من أداء هذه الطاعة.

وإذا وصل إلى بيت الله الحرام، يبدأ بالطواف سبعة أشواط مبتدئاً بالحجر الأسود، إن استطاع قبّله، وإلا أشار إليه بيده، ويكبر عند بدايته، وإذا مر به عند بداية كل شوط، كما فعل ذلك رسول الله ﷺ، ويصلي ركعتين سنة الطواف، ثم يتجه بعد ذلك إلى الصفا، فيرقى عليه ويكبر الله ويدعوه بما شاء من الدعاء، ثم يتجه إلى المروة، ويرقى عليه ويفعل كما فعل عند الصفا، وذلك سبعة أشواط، ذهابه شوط ورجوعه شوط، فيبدأ بالصفا وينتهي بالمروة.

وخلال أشواط الطواف والسعي له أن يدعو الله بما أحب من خيري الدنيا والآخرة، أو يقرأ من القرآن ما شاء، أو يشغل وقته بالذكر والتسبيح والاستغفار، وبعد نهاية الشوط السابع من السعي يحلق رأسه أو يقصر، والحلق أفضل، لأن رسول الله ﷺ دعا للملحقين ثلاثاً وللمقصرين مرة واحدة[1] أما المرأة فليس لها إلا التقصير من شعرها قدر أنملة فقط.

وبهذا تتم العمرة، فيشكر العبد ربه عز وجل على إتمامها، راجياً أن يتم ثوابها، طامعاً في تكفير سيئاته.

إن للعمرة في رمضان شأناً خاصاً ومكانة جليلة، ثبت في الصحيح أن امرأة من الأنصار جاءت إلى النبي ﷺ لم تتمكن من الحج معه، فقال لها النبي ﷺ: **(إذا كان رمضان فاعتمري فيه، فإن عمرة في رمضان تعدل حجة)**[2] وفي رواية لأحمد: **(العمرة في رمضان تعدل حجة معي)**[3] أي مع رسول الله ﷺ، فالمراد ـــ والله أعلم ـــ أن هذه العمرة تعدل الحج في الثواب والأجر، فإذا

---

(١) أخرجه البخاري (١٧٢٧، ١٧٢٨) ومسلم (١٣٠١، ١٣٠٢).

(٢) أخرجه البخاري (١٧٨٢) ومسلم (١٢٥٦).

(٣) أخرجه أحمد (٣/٣٥٢).

كان الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة، وإذا رجع و لم يرفث و لم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه، فإن الذي يؤدي العمرة في رمضان خالصة مقبولة يحصل له من الفضل مثل ذلك، وفضل الله واسع وعطاؤه لا ينفد.

ولقد وعى الموفقون من عباد الله هذا المكسب الرابح، فكثر المعتمرون في هذا الشهر المبارك، جامعين بين شرف الزمان والمكان، فنسألك اللهم ألا تحرمهم الأجر والثواب.

إن هذه العبادة اليسيرة في العمل، العظيمة في الفضل، حريٌ أن يتأملها كل قائم بها، ويستشعر قيمتها ويتفقه أعمالها، فهي عبادة قائمة على الامتثال والتجرد لله سبحانه وتعالى، يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه أثناء تقبيله للحجر الأسود: والله إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك[1]. فالداعي لهذا العمل والدافع له هو الاقتداء بالرسول ﷺ.

ولهذا فإن الذي يقوم بالعمرة غير عارف لحكمها، أو بنية تخالطها المباهاة والمراءاة ونحو ذلك، أو قام بأداء الحركات بلا خشوع، أو ردّد الأذكار بلا تدبر؛ فهذا لم يستفد من عمرته، و لم يظهر عليه أثرها، وللأسف؛ فهذا حال كثير من الناس، فهل من وقفة مع النفس لتدارك التقصير، والندم على ما فات، فحريٌ بكل مسلم حريص على رضا ربه أن يؤدي العمرة بالقلب والجوارح معاً.

---

(١) أخرجه البخاري (١٥٩٧) ومسلم (١٢٧٠).

إن بعض المعتمرين حين يؤدون العمرة يأتون ببعض التصرفات التي تخرجها عن إطارها الشرعي، وتوقع صاحبها في أخطاء شرعية، كما أن التساهل في أداء العبادة وعدم فقهها وعدم السؤال عما يجهله نحوها، إن هذا وأمثاله ليعد من رؤوس الأخطاء التي يقترفها كثير من المعتمرين، فالعبادة لا تكون مقبولة إلا إذا كانت خالصة لله عز وجل ومتابعاً فيها العبد هدي محمد ﷺ، أما من يظن أن العمرة لا تكتمل إلا بالجلوس في مكة فترة من الزمن، وقد يصطحب معه عائلته من بنين وبنات، وهو يجتهد في أداء العبادة، ولكن ينشغل عنهم ولا يتابع سلوكهم وتصرفاتهم داخل المسجد الحرام وخارجه، فهذا قد أخطأ في حق نفسه وأسرته، وتعرض والعياذ بالله للإثم والوزر.

لا شك أن المكث في بيت الله الحرام للصلاة وقراءة القرآن واستماع الدروس العلمية من القربات العظيمة والطاعات الجليلة، فهذه الصلاة تعدل مائة ألف صلاة فيما سواه من المساجد، ولكن ينبغي ألا يسبب ذلك خللاً في حياة المسلم، فتضيع الأسرة والأولاد.

ولتعلم المرأة المسلمة أن صلاتها في بيتها يحصل لها بها الأجر المضاعف، بل هي أفضل لها، ولكن إذا خرجت إلى المسجد الحرام فلتخرج بآداب الخروج، وهي: عدم الزينة وعدم التطيب، الالتزام بالحجاب الشرعي، غض البصر، عدم التبختر في المشية، وألا تخضع بالقول.

وليعلم كل مسلم ومسلمة أن للمسجد الحرام والرحاب الطاهرة، آداباً عظيمة من الاحترام والتقدير والهيبة والإجلال ما ليس لغيرها.

فالتساهل من الماكثين فيه من أصوات مزعجة، وقيل وقال، ومخالفات في المأكل والمشرب وتسيب للأطفال، وما يفعله بعض المعتكفين من عدم اهتمام

بحـــرمة هذا البيت، أخشى أن يكون ذلك داخلاً في قوله تعالى: ﴿ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾ ﴾[١]

فينـــبغي للمســـلم أن يـــرعى المصلحة الشرعية في كل أحواله وسلوكه وتصرفاته.

أسأل الله أن يرزقنا الفقه في دينه، والإخلاص في القول والعمل، وأن يرزقنا العفو والعافية، والمعافاة الدائمة في الدين والدنيا والآخرة، إنه سميع مجيب، وهو المستعان.

---

(١) الحج (٢٥) .

هدي النبي ﷺ في الاعتكاف

سبق أن تعرضنا لهدي النبي ﷺ في العشر الأواخر وليلة القدر، وكيف كان اغتنامه لهذا الشهر الطيب المبارك، وتعرضه لنفحات المولى الكريم سبحانه في هذه العشر العظيمة، ولا يفوتنا هنا أن نتعرض لهديه ﷺ في الاعتكاف، قال العلامة ابن القيم رحمه الله مبيناً هديه في ذلك:

«لما كان صلاح القلب واستقامته على طريق سيره إلى الله تعالى، متوقفاً على جمعيته على الله، ولمّ شعثه بإقباله بالكلية على الله تعالى، فإن شعث القلب لا يلمه إلا الإقبال على الله تعالى، وكان فضول الطعام والشراب وفضول مخالطة الأنام، وفضول المنام مما يزيده شعثاً، ويشتته في كل واد، ويقطعه عن سيره إلى الله تعالى أو يضعفه أو يعوقه ويوقفه، اقتضت رحمة العزيز الرحيم بعباده أن شرع لهم من الصوم ما يذهب فضول الطعام والشراب، ويستفرغ من القلب أخلاط الشهوات المعوقة له عن سيره إلى الله تعالى وشرعه بقدر المصلحة العاجلة والآجلة، وشرع لهم الاعتكاف الذي مقصوده وروحه عكوف القلب على الله تعالى، وجمعيته عليه، والخلوة به، والانقطاع عن الاشتغال بالخلق، والاشتغال به وحده سبحانه، بحيث يصير ذكره وحبه والإقبال عليه في محل هموم القلب وخطراته، فيستولي عليه بدلها، ويصير الهم كله به، والخطرات كلها بذكره، والتفكر في تحصيل مراضيه وما يقرب منه، فيصير أنسه بالله بدلاً عن أنسه بالخلق، فيعده بذلك لأنسه به يوم الوحشة في القبور، حين لا أنيس له ولا ما يفرح به سواه، فهذا مقصود الاعتكاف الأعظم.

ولما كان هذا المقصود إنما يتم مع الصوم شرع الاعتكاف في أفضل أيام الصوم، وهي العشر الأخيرة من رمضان، و لم ينقل عن النبي ﷺ أنه اعتكف مفطراً قط، بل قد قالت عائشة رضي الله عنها: لا اعتكاف إلا بصوم[١].

و لم يذكر الله سبحانه الاعتكاف إلا مع الصوم، ولا فعله رسول الله ﷺ إلا مع الصوم، فالذي عليه جمهور السلف أن الصوم شرط في الاعتكاف وهو الذي كان يرجحه شيخ الإسلام أبو العباس ابن تيمية رحمه الله.

وأما الكلام؛ فإنه شرع للأمة حبس اللسان عن كل ما لا ينفع في الآخرة.

وأما فضول المنام؛ فإنه شرع لهم من قيام الليل ما هو من أفضل السهر وأحمده عاقبةً، وهو السهر المتوسط الذي ينفع القلب والبدن ولا يعوق عن مصلحة العبد، ومدار رياضة أرباب الرياضات والسلوك على هذه الأركان الأربعة، وأسعدهم بها من سلك فيها المنهاج النبوي المحمدي، و لم ينحرف انحراف الغالين، ولا قصر تقصير المفرطين »[٢].

ثم قال رحمه الله: وكان ﷺ يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله عز وجل[٣]، وتركه مرة فقضاه في شوال[٤]، واعتكف مرة في العشر الأول، ثم الأوسط، ثم العشر الأخير يلتمس ليلة القدر، ثم تبين له أنها في العشر الأخير[٥]، فداوم على اعتكافه حتى لحق بربه عز وجل.

---

(١) أخرجه أبو داود في متنه موقوفاً عن عائشة رضي الله عنها (٢٤٧٣).

(٢) زاد المعاد (٢/٨٦ـ٨٨).

(٣) أخرجه البخاري (٢٠٢٦) ومسلم (١١٧٢).

(٤) أخرجه البخاري (٢٠٤١) ومسلم (١١٧٣).

(٥) أخرجه مسلم (١١٦٧).

وكان يأمر بخباء فيضرب له في المسجد، يخلو فيه بربه عز وجل، وكان إذا أراد الاعتكاف صلى الفجر ثم دخله، فأمر به مرة فضُرب، فأمر أزواجه بأخبيتهن فضربت، فلما صلى الفجر نظر فرأى تلك الأخبية فأمر بخبائه فقوِّض، وترك الاعتكاف في شهر رمضان حتى اعتكف في العشر الأول من شوال(١).

وكان يعتكف كل سنة عشرة أيام، فلما كان في العام الذي قبض فيه اعتكف عشرين يوماً، وكان يعارض جبريل بالقرآن كل سنة مرة، فلما كان ذلك العام عارض به مرتين، وكان يعرض عليه القرآن أيضاً في كل سنة مرة، فعرض عليه تلك السنة مرتين.

وكان إذا اعتكف دخل قبته وحده، وكان لا يدخل بيته في حال اعتكافه إلا لحاجة الإنسان، وكان يخرج رأسه من المسجد إلى بيت عائشة فترجله وتغسله وهو في المسجد وهي حائض، وكانت بعض أزواجه تزوره وهو معتكف، فإذا قامت تذهب قام معها يقلبها، وكان ذلك ليلاً(٢) ولم يباشر امرأة من نسائه وهو معتكف لا بقبلة ولا غيرها، وكان إذا اعتكف طُرِح له فراشُه ووُضع له سريرُه في معتكفه، وكان إذا خرج لحاجته مرَّ بالمريض وهو على طريقه فلا يعرج عليه ولا يسأل عنه(٣)، واعتكف مرة في قبة تركية، وجعل على سدتها حصيراً، كل هذا تحصيلاً لمقصود الاعتكاف وروحه، عكس ما يفعله

---

(١) أخرجه البخاري (٢٠٣٣، ٢٠٣٤) ومسلم (١١٧٣).

(٢) أخرجه البخاري (٢٠٣٨) ومسلم (٢١٧٥).

(٣) أخرجه أبو داود (٢٤٧٢).

الجهـال من اتخاذ الاعتكاف موضع عشرة، ومجلبة للزائرين، وأخذهم بأطراف الحديث بينهم، فهذا لون والاعتكاف النبوي لون[١].اهـ كلامه رحمه الله.

ولعـل مـن الحكمة أن نستلْهم الدروس والعبر من هدي الرسول ﷺ في الاعـتكاف، فينبغي على المعتكف أن لا يعكر اعتكافه أو يفسده بأمور الدنيا، ويجعـل معتكفه مأوى للزائرين لتبادل أطراف الأحاديث الدنيوية التي تشوش عـلى القلب، وتفسد روحانية هذه العبادة، أو يجعل معتكفه أيضاً مجالاً لعرض ألذ المطعومات وأفخر المشروبات، وبخاصة في المسجد الحرام، أو يجعل معتكفه أيضـاً حلـبة مصارعة ومجادلة لعرض الآراء والمذاهب والأقوال، والدخول في مناوشـات ومحاورات سقيمة، لا تسمن ولا تغني من جوع، أو يجعل معتكفه معرضاً لنشر ثيابه وملابسه أمام المصلين، أو لا يهتم بإيذاء جيرانه من المعتكفين بـرفع الصوت، أو النوم في طرقاتهم وفي أماكن الصفوف المتقدمة، أو إيذائهم بـروائحه الكريهة، أو غير ذلك مما يقلل أو يبطل منافع الاعتكاف، فلنا أسوة وقـدوة حسـنة في رسول الله ﷺ في كل أمر من أموره عليه الصلاة والسلام، أسـأل الله سبحانه أن يعيننا على أنفسنا، وأن يتقبل منا طاعتنا، وأن يوفقنا إلى مرضاته، وأن يبلغنا أمانينا في الدنيا والآخرة، إنه سبحانه جواد كريم سميع قريب مجيب.

---

(١) زاد المعاد (٢/٨٨ـ٩٠).

هدي الرسول ﷺ في أخلاقه وسلوكه وتعامله

إن من نعم الله علينا وآلائه الجسيمة، وإن من لذة العيش وحلاوة الطعم في هذه الحياة، أن نحيا في ظلال سيرة هذا الرسول العظيم ﷺ القولية والعملية، نحيا سلوكه وتصرفاته، ونتمثلها أمام أعيننا نظرياً، ونطبقها في واقع حياتنا عملياً، سواء ما يتعلق بأخلاقه وسلوكه وتعامله، علينا أن ننهل من مورده ونقتفي أثره.

لقد جمع رسول الله ﷺ من الصفات الحسنة أفضلها، ومن الأخلاق الكريمة أزكاها، ومن السمات الفاضلة أعلاها، ولا أعظم من وصف الله سبحانه وتعالى له بها في وصف جامع كريم، حيث قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (1)

ولقد بين الله عز وجل صورة من صور هذا الخلق العظيم بقوله سبحانه: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ ﴾ (2)

---

(١) القلم (٤) .

(٢) آل عمران (١٥٩) .

وبقولـــه: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ (١)

وروى البخاري وغيره عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنه سئل عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة، فقال: أجل، والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن: (يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وحرزاً للأميين، أنت عبدي ورسولي، سميتك المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ ولا سـخاب في الأسواق، ولا يدفع السيئة بالسيئة، ولكن يعفو ويغفر، ولن يقبضه الله حـتى يقيم به الملة العوجاء، بأن يقولوا: لا إله إلا الله، ويفتح بها أعينا عمياً وآذاناً صماً وقلوباً غلفاً)(٢)

لقـد حقق ﷺ هذه الأخلاق الكريمة تحقيقاً عملياً في حياته، فها هو أنس ابـن مالك رضي الله عنه يقول: خدمت النبي ﷺ عشر سنين فما قال لي: أف، قـط. وما قال لشيء صنعته: لم صنعته؟ ولا لشيء تركته: لم تركته؟(٣) وكان رسـول الله ﷺ من أحسن الناس خلقاً(٤)، ولا مسست خزاً قط ولا حريراً ولا شـيئاً كان ألين من كف رسول الله ﷺ، ولا شممت مسكاً قط ولا عطراً كان أطيب من عرق النبي ﷺ(٥).

---

(١) التوبة (١٢٨) .

(٢) أخرجه البخاري (٢١٢٥).

(٣) أخرجه البخاري (٦٠٣٨) ومسلم (٢٣٠٩).

(٤) أخرجه البخاري (٣٥٤٩) ومسلم (٢٣٣٧).

(٥) أخرجه البخاري (٣٥٦١) ومسلم (٢٣٣٠).

وعـــند البخاري رحمه الله: « ما مسست حريراً ولا ديباجاً ألين من كف النبي ﷺ، ولا شممت ريحاً قط ولا عرقاً أطيب من ريح النبي ﷺ »[(١)]

فرســـول الله ﷺ أحسن الناس أخلاقاً، وأزكاهم وأفضلهم وأعظمهم، بل جعـــل مهمـــته في هـــذه الحـــياة وسبب بعثته ورسالته نشر الأخلاق الفاضلة والســـمات الحميدة، حيث قال عليه الصلاة والسلام: (**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**)[(٢)]

وبينـــت لـــنا عائشـــة الصـــديقة رضي الله عنها هذه الأخلاق، من أين استمدها؟ وكيف كان يتمثلها؟ فقالت رضي الله عنها: كان خلقه القرآن[(٣)].

فلـــو أراد متأمل أن يستنتج أخلاقه عليه الصلاة والسلام، فلابد لـــه من دراســـة القرآن الكريم والسنة النبوية وسيرته العطرة الشاملة، إذ إنه يتمثل هذه الصـــفات بأعلى صورها وأمثل معانيها، فإذا بحثت عن التواضع والتحمل، أو العفـــاف والحياء، أو الإخلاص والصدق، أو طيب الكلام وحسن الفعال، أو الصـــبر والمصـــابرة، أو الأمانة والسمو، أو النظافة والطهارة، أو الوفاء بالعهد وصـــدق الوعد، وإفشاء السلام وحسن الحديث، أو الكرم والجود، كل ذلك وغيره تمثله ﷺ بما لم يجتمع لسيرة بشر من الناس مهما كان.

وعلى سبيل التفصيل في بعض صفاته عليه الصلاة والسلام، نعرض بعض الأمثلة، فهذه صفة التواضع وخفض الجناح، وعدم الكبر والبطر وغمط الناس،

---

(١) أخرجه البخاري (٣٥٦١) ومسلم (٢٣٣٠).

(٢) أخـــرجه أحمد (٢/٣٨١) والبخاري في الأدب المفرد (٢٧٣) والحاكم (٢/٦١٣) والبيهقي في الشعب (٧٩٧٨) وصححه الحاكم ووافقه الذهبي والألباني في صحيح الجامع (٢٣٤٩).

(٣) أخرجه مسلم (٧٤٦) وأحمد (٦/٩١) وأبو داود.

يقول قيس بن سعد: زارنا رسول الله ﷺ في منزلنا، فقال: **(السلام عليكم ورحمة الله)** فرد أبي رداً خفياً، فقلت لأبي: ألا تأذن لرسول الله ﷺ؟ فقال: ذره حتى يكثر علينا من السلام، فقال ﷺ: **(السلام عليكم ورحمة الله)** ثم انصرف فاتبعه سعد وقال: يا رسول الله إني كنت أسمع تسليمك وأرد عليك رداً خفياً لتكثر علينا من السلام، فانصرف النبي ﷺ وأمر له سعد بغسل فاغتسل، ثم ناوله ملحفة مصبوغة بزعفران فاشتمل بها، ثم رفع يديه وهو يقول: **اللهم اجعل صلواتك ورحمتك على آل سعد)**

فلما أراد الانصراف قرب له سعد حماراً، فقال سعد: يا قيس اصحب رسول الله ﷺ، فصحبته، فقال: اركب معي، فأبيت، فقال: إما أن تركب وإما أن تنصرف[(١)].

وهذه صورة أخرى من صور التواضع وخفض الجناح، فقد كان في سفر مع أصحابه وأرادوا أن يهيئوا طعاماً، فقسم النبي ﷺ العمل بينهم، وقام هو بجمع الحطب، فأراد الصحابة رضي الله عنهم أن يكفوه ذلك، فأبى إلا أن يشاركهم العمل ﷺ.

وصورة ثالثة: وقف عليه أعرابي يرتجف وترتعد فرائصه خشية منه ﷺ، فما كان منه إلا أن هدأ من روعه وسكن من فزعه، وطفق رسول الله ﷺ يزيل عنه هذه الخشية وهذا الرعب، فذكر للأعرابي أنه ﷺ ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد[(٢)].

---

(١) أخرجه أبو داود (٥١٨٥).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٣٣١٢) وفي الزوائد: هذا إسناد صحيح ورجاله ثقات.

وصورة رابعة: خرج ﷺ على جماعة من أصحابه وهو يتوكأ على عصا، فقاموا له تعظيماً وإجلالاً، فقال ﷺ: (**لا تقوموا كما تقوم الأعاجم يعظم بعضهم بعضاً**)[1].

ومن تواضعه ﷺ تواضعه في جلوسه ومسكنه، كان يلبس كعامة من حوله، ويسكن كما يسكن من حوله، وكان يجيب دعوة الحر والعبد والأمة والمسكين، ويقبل عذر المعتذر، وكان يرقع ثوبه، ويخصف نعله، ويخدم نفسه، ويعقل بعيره، ويحلب الشاة، ويأكل مع الخادم، ويقضي حاجة الضعيف والبائس، فهذا رسول الله ﷺ في تواضعه وخلقه، رزقنا الله الاقتداء به، والاهتداء بهديه، والسير على طريقته، والتحلي بأخلاقه ﷺ.

---

(١) أخرجه أحمد (٥/٢٥٣).

نماذج عملية من أخلاق رسول الله ﷺ

لقـــد امتدح الله عز وجل أخلاق النبي ﷺ في كتابه، وأثنى عليه في مواطن كـــثيرة مـــنه، بياناً لحاله عليه الصلاة والسلام، وترغيباً في الاقتداء به والتأسي بأفعاله ﷺ.

وقـــد ســبق الــتعرض لخلق من أخلاقه الشريفة، ألا وهو خلق التواضع وخفض الجناح، ولو ذهبنا نتتبع أخلاقه وبيان فضائلها لطال بنا المقام، ولكن لا بد من بيان بعض هذه الأخلاق، وتجلية بعض هذه الصفات والشمائل المحمدية.

أولاً: رحمــته ﷺ، فقــد قال سبحانه وتعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ (١)

ولقد أصابت هذه الرحمة الصغيَر والكبيرَ والذكرَ والأنثى، حتى الحيوان لم يحـرم مـــن هذه الرحمة وهذه الشفقة، وقد كان ﷺ يبكي في بعض المواطن، ويتنازل عن حقوقه، ويذرف الدموع رحمة وشفقة، ومن ذلكم أن قريشاً فعلت مـــا فعلت من عداوته، بل والاعتداء عليه ومحاولة قتله والصد عن دعوته، فلما فـــتح الله تعالى عليه مكة، كان موقفاً غير متوقع، يقول عمر رضي الله عنه: لما كـــان يـــوم الفتح ورسول الله ﷺ بمكة، أرسل إلى صفوان بن أمية وسفيان بن

---

(١) التوبة (١٢٨) .

حرب والحارث بن هشام، قال عمر: فقلت: لقد أمكن الله منهم، لأعرفنهم بما صنعوا، حتى قال رسول الله ﷺ: مثلي ومثلكم كما قال يوسف لإخوته: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾﴾[١]

قال عمر: فافتتضمت حياء من رسول الله ﷺ كراهية أن يكون بدر مني، وقد قال لهم رسول الله ﷺ ما قال[٢] ومن ذلكم ما جاء في الصحيح: أن النبي ﷺ ذكر ذات يوم رجلاً أسود، فقال: (**ما فعل ذلك الإنسان؟** قالوا: مات يا رسول الله. قال: **أفلا آذنتموني؟** فذكروا قصته وحقروا من شأنه، فقال عليه الصلاة والسلام: **دلوني على قبره**، فأتى قبره فصلى عليه)[٣].

وأخرج الشيخان: أن نبي الله ﷺ قال: (**إني لأدخل الصلاة وأنا أريد أن أطيلها، فأسمع بكاء الصبي، فأتجوز في صلاتي لما أعلم من وجد أمه من بكائه**)[٤]

ومن رحمته ﷺ بالحيوان ما قاله عبد الرحمن بن عبد الله، قال: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فرأينا حُمرّة ــ طائر مثل العصفور ــ معها فرخان لها فأخذناهما، فجاءت الحمرة تفرش (أي ترفرف) فلما جاء الرسول ﷺ قال: (**من فجّع هذه بولدها، ردوا ولدها إليها**)[٥].

---

(١) يوسف (٩٢).

(٢) انظر زاد المعاد (٣/٣٩٤ــ٤٠٨).

(٣) أخرجه البخاري (١٣٢١) ومسلم (٩٥٤).

(٤) أخرجه البخاري (٧٠٩، ٧١٠) ومسلم (٤٧٠).

(٥) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٣٨٢) وأبو داود (٢٦٧٥) والحاكم (٤/٢٣٩) وصححه ووافقه الذهبي.

ثانياً: حلمه عليه الصلاة والسلام وعدم غضبه وتحمله، فهو أحلم الناس على الناس، يفوق الحد الذي يتصوره مخلوق في حلمه عليه الصلاة والسلام، لكن هذا الحلم ينقلب إلى غضب محكم إذا انتهكت محارم الله تعالى، ومن حلمه ما جاء في الصحيحين عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ وهو يقسم قسماً، إذ أتاه ذو الخويصرة ـ رجل من بني تميم ـ فقال يا رسول الله اعدل! فقال رسول الله ﷺ: (**ويلك ومن يعدل إذا لم أعدل، قد خبت وخسرت إذا لم أكن أعدل**) فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ائذن لي فيه فأضرب عنقه، فقال رسول الله ﷺ: (**دعه**)[1] .

وروى أحمد رحمه الله عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: « ما ضرب رسول الله ﷺ خادماً له قط ولا امرأة، ولا ضرب بيده شيئاً، إلا أن يجاهد في سبيل الله[2]، ولا خير بين شيئين قط إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثماً، فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه، ولا انتقم لنفسه من شيء يؤتى إليه حتى تنتهك حرمات الله، فيكون هو ينتقم لله »[3].

وأخرج الشيخان عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن امرأة يهودية أتت رسول الله ﷺ بشاة مسمومة، فأكل منها، فجيء بها إلى رسول الله ﷺ، فسألها عن ذلك، قالت: أردت قتلك. فقال: (**ما كان الله ليسلطك عليَّ** أو قال: **على ذلك**، قالوا: ألا تقتلها؟ قال: **لا**)[4]

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦١٠) ومسلم (١٠٦٤).

(٢) أخرجه أحمد (٣١/٦، ٢٠٦، ٢٢٩، ٢٨١). وأبو داود (٤٧٨٦).

(٣) أخرجه البخاري (٣٥٦٠) ومسلم (٢٣٢٧).

(٤) أخرجه البخاري (٢٦١٧) ومسلم (٢١٩٠).

ثالثاً: كرمه وجوده وخاصة في شهر الصوم، فقد أخرج الشيخان عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: كان رسول الله ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقى جبريل عليه السلام، وكان جبريل يلقاه كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن، قال: فلرسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة[1].

وأخرج الشيخان عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: ما سئل رسول الله ﷺ شيئاً قط، فقال: لا[2].

وأخرج البخاري عن سهل بن سعد قال: جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ ببردة فقال: يا رسول الله جئتك أكسوك هذه، فأخذها رسول الله ﷺ وكان محتاجاً إليها فلبسها، فرآها عليه رجل من أصحابه، فقال: يا رسول الله ما أحسن هذه، اكسنيها. فقال: **(نعم)** فلما قام رسول الله ﷺ لامَه أصحابُه وقالوا: ما أحسنت حين رأيت رسول الله ﷺ أخذها محتاجاً إليها ثم سألته إياها، وقد عرفت أنه لا يسأل شيئاً فيمنعه، قال: والله ما حملني على ذلك إلا رجوت بركتها حتى لبسها رسول الله ﷺ لعلي أكفن فيها[3].

هذه صور ونماذج حية من كريم أخلاقه، وعظيم شمائله ﷺ، فحري بالمسلم أن يتمثل هذه الأخلاق، ويقتفي أثر هذه الصفات، ليتحلى بها، فيفوز بمنقبة الاقتداء بسمته، والاهتداء بهديه ﷺ، رزقنا الله تعالى ذلك، إنه سميع مجيب.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٥٥٤) ومسلم (٢٣٠٨).

(٢) أخرجه البخاري (٦٠٣٤) ومسلم (٢٣١١).

(٣) أخرجه البخاري (٦٠٣٦).

هدي الرسول ﷺ في الدعوة والنصيحة

لقد بعث الله محمداً ﷺ هادياً ومبشراً ونذيراً، ومبلغاً دعوة الله إلى الناس وسراجاً منيراً، وآمراً بالخير وحاثاً عليه، ومحذراً من الشر، شغلته الدعوة إلى توحيد الله وعبوديته، وملأت عليه حياته، حيث أمره ربه بذلك، فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ ﴾(١)

وقال سبحانه: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝٣٣ ﴾(٢)

وقال عز وجل: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۝٣٦ ﴾(٣)

وقال سبحانه ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝١٠٨ ﴾

ولقد قام عليه الصلاة والسلام بهذه الدعوة خير قيام منذ كلفه الله سبحانه وتعالى، قام ﷺ بهذه الدعوة على أسس متينة، ودعائم قوية، من أهمها:

---

(١) المدثر (١ ــ ٤).

(٢) فصلت (٣٣).

(٣) النحل (٣٦).

١ ـــ العلم بما يدعو إليه، مطبقاً قوله تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ (١)

٢ ـــ وهذه البصيرة التي أشار إليها الله سبحانه وتعالى تعني: العلم بما يدعو إليه، والعلم بالأساليب التي يدعو بها ويستخدمها في مجال دعوته، والعلم بأهداف دعوته، وهكذا، بكل ما تحمله كلمة البصيرة من معنى، وهذا ينفي أن يدعو الإنسان إلى أمر يجهله أو يستعمل أساليب لا يعرف حكمها، أو وسائل لا يفقه معانيها.

٣ ـــ العمل بما يدعو إليه، لأن مقتضى كونه ﷺ قدوة وأسوة أن يطبق ما يقول وما يدعو إليه، وهكذا يجب أن يكون كل داعية ندب نفسه لهذه الدعوة وأدرك قضيتها وأراد اغتنام هذه الفضيلة، قال تعالى مبيناً أهمية هذا الأمر الجلل: ﴿ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ﴾ (٢)

وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ (٣)

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ ﴾ (٤)

---

(١) يوسف (١٠٨) .

(٢) هود (٨٨) .

(٣) فصلت (٣٣) .

(٤) الصف (٢ ـــ ٣) .

ومما ينظر في أمر الدعوة ـــ ونحن في سيرة الرسول ﷺ ـــ البدء في أمر الدعوة بالأهم فالمهم، فالداعي ينظر أولاً الأكثر أهمية، ويدعو إليه وينشغل به، ثم ينتقل إلى ما هو دونه، ومن بداهة القول: إن أول ما يدعو إليه الداعي هو توحيد الله تعالى لأنه رأس الأعمال، ولا يقبل أي عمل، مهما عظم، إلا بعد توحيد الله تعالى توحيداً سليماً خالياً من شوائب الشرك، لأن التوحيد هو الأمر الذي خلق الناس من أجله ومن أجل تحقيقه في حياقم، وأرسل الرسل ببيانه والدعوة إليه وتجلية أمره، وأنزلت الكتب لتوضيحه وشرحه وبيان حقيقته، ويتبع ذلك ويلازمه ويسبق عليه النهي عن الشرك، وهكذا يتدرج الداعي في طريق دعوته بالأهم ثم المهم، وهذا يعد من الفقه الذي يغيب عن كثير من الناس.

ولقد كان من هدي النبي ﷺ الاتصاف بالصفات اللائقة بالداعية، ومن أهمها إخلاص هذه الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لله سبحانه وتعالى، وليس الغرض من وراء ذلك تحصيل أمر دنيوي كبر أم صغر، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ ﴾ (١)

وقال سبحانه: ﴿ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ ﴾ (٢)

وإذا فقد الداعي هذه النية فلا يتم له مقصوده ولا يصل إلى هدفه، بل تكون دعوته وبالاً عليه وخسارة.

---

(١) البينة (٥).

(٢) الزمر (٢).

ومن الصفات أيضاً: الصبر والتحمل على ما يلاقي في سبيل هذه الدعوة المباركة، فطريق الدعوة طويل وشاق في بدايته، وهو أمر جلل وكبير، وإذا كان كبيراً تعبت في مرادها الأجسام، وقد تحمل رسول الله ﷺ أنواع الأذى والعذاب، منذ أن كلف بهذه الدعوة، حتى وصل الأمر بالمشركين أن وضعوا على رأسه سلا الجزور وهو يصلي ﷺ، وحوصر اقتصادياً في شعب بني عامر، واتهم بتهم كثيرة، بأنه ساحر وشاعر وكاهن ومجنون، ولكنه عليه الصلاة والسلام صبر وصابر، فكانت العاقبة انتشار الدعوة، ودخول الناس في دين الله أفواجاً.

ولقد بين الله عز وجل أن هذا الطريق يحتاج إلى ذلك: ﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ ﴿٣٤﴾ ﴾(١)

وقال تعالى في وصية لقمان لابنه: ﴿ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ ﴾(٢)

وصدق القائل:

لا تحسب المجد تمراً أنت آكله لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا

وأي مجد أعظم من مجد المنتسبين إلى الدعوة إلى دين الله، والقائمين بالنصيحة لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم، والمتصفين بأنهم من خير أمة يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويدعون إلى الله.

---

(١) الأنعام (٣٤).

(٢) لقمان (١٧).

ومن الفقه في الدعوة إلى الله ــ المستقى من هديه ﷺ ــ استعمال الأساليب المناسبة التي تغلب مصلحتها على مضارها، والشواهد في ذلك من سيرته عليه الصلاة والسلام أكثر من أن تحصر، ومن ذلك ما أخرجه الشيخان: أنه عليه الصلاة والسلام كان جالساً مع أصحابه في المسجد، إذ دخل أعرابي فبال في المسجد في ناحية منه، فقام الصحابة رضي الله عنهم ليزجروه، فقال ﷺ: **(دعوه)** وفي رواية: **(لا تزرموه)** حتى قضى بوله، فدعاه النبي ﷺ وأخبره بأن هذه المساجد لا تصلح لشيء من القذر والبول، وإنما هي للقراءة والذكر والصلاة، فقال الأعرابي متأثراً بهذا الأسلوب الحسن: اللهم ارحمني ومحمداً ولا ترحم معنا أحداً(١).

والمتأمل في هذا الموقف؛ يجد أنه عليه الصلاة والسلام قدم النظر إلى المصالح لتحقيق أكثرها، وتقليل المفاسد بقدر المستطاع، ومن تلك المصالح عدم تنجيس بقعة أكبر، وعدم تأثر الأعرابي التأثر السلبي.

ومن ذلك أيضاً الدعوة بالحكمة واللين والرفق والموعظة الحسنة، كما قال تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِ ﴾(٢)

وقد سار ﷺ على هذا السبيل، وانتهج هذا المنهج القويم، فحري بكل داعية ومصلح أن يدرس هديه ﷺ في الدعوة، والاقتداء به والسير على منواله واقتفاء أثره، رزقنا الله ذلك، إنه سميع مجيب، وهو حسبنا ونعم الوكيل، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٢٠، ٦١٢٨).

(٢) النحل (١٢٥) .

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة أرجو بها النجاة في الحياة وبعد الممات، وأصلي وأسلم على خير البرية، وأشرف المخلوقات، وعلى آله وأصحابه وزوجاته أمهات المؤمنين الطاهرات، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم يبعث الأموات.

فقد تجولنا جولة سريعة مع القدوة عليه الصلاة والسلام، وعشنا صفحات من حياته ﷺ رمضان والصيام، تجلى في هذه الصفحات منهجه ﷺ في شهر رمضان، وبرنامجه فيه، والأعمال التي يركز عليها في رمضان، وحال الصيام، ومن الخير للمسلم أن يقتفي أثر رسول الله ﷺ في جميع أعماله، فهو القدوة والأسوة، ولذا أوصي ــ ونحن نختم هذه الصفحات ــ أن يعيد المسلم النظر في برنامج حياته، ومنهاجه فيها في جميع الأحوال، ليقتفي خطوات النبي ﷺ، فهذا العامل الآخر بعد الإخلاص لقبول الأعمال عند الله سبحانه وتعالى، فقبول العمل مترتب عليها، وهذا يحفز المسلم للعمل الجاد للاقتداء بالقدوة عليه الصلاة والسلام، وتتبع آثاره وخطواته، لعل الله سبحانه وتعالى أن يحشرنا معه، وأن يسقينا من حوضه شربة لا نظمأ بعدها، إنه سميع قريب مجيب.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

فهرس المحتويات